أثر البلاغة القرآنية

وخصائصها في تشريع الصيام

الدكتور

حسيني علي عطوة علي

مدرس البلاغة والنقد بجامعة غانا

المقدمـــــــــــة

الحمد لله حمدا يليق بكماله ، ويبلغ عظيم منه وأفضاله ، والصلاة والسلام علي سيد أنبيائه ، وخاتم رسله ، وعلي آله وأصحابه ، والذين اهتدوا بهدية ، وبعد .

فإنه لما كان للبلاغة القرآنية عظيم الأثر في التشريع الإسلامي،ولما كان لها خصائصها التى تميزت بها فى هذا التشريع،توجهت نحوها لعلى أنال شرف البحث فى منحى من مناحي تلك البلاغة،ووقع الاختيار على موضوع بعنوان :"اثر البلاغة القرآنية وخصائصها فى تشريع الصيام".

دوافع البحث:

كان سر اختياري لهذا البحث يرجع إلى عدة دوافع،أهمها:

أولا:ما للبلاغة القرآنية من اثر في نفوس سامعيها حتى في قلوب الأعداء.

ثانيا:مكنة الصيام العلية عند الله تعالى،وإعطاء الثواب الجزيل عليها.

ثالثا:إبراز مدى التلاقي بين البلاغة القرآنية وعلوم الشريعة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن اقسمه إلى

مقدمة،وتمهيد،وفصلين،وخاتمة،وفهرس.

المقدمة: وفيها ذكرت أهمية الموضوع،وسبب اختياره،وخطته،ومنهجه.

التمهيد:تحدثت فيه عن البلاغة القرآنية ومكانة الصيام في الإسلام.

الفصل الأول:اثر البلاغة القرآنية في. تشريع الصيام.

المبحث الأول:اثر البلاغة القرآنية في تشريع تيسير الصيام.

المبحث الثاني:اثر البلاغة القرآنية في تشريع تقريب الصائمين من الله تعالى.

المبحث الثالث:اثر البلاغة القرآنية في تشريع الصيام عن أكل الأموال بالباطل.

الفصل الثاني:خصائص البلاغة القرآنية في تشريع الصيام.

المبحث الأول : وسائل تأثير البلاغة القرآنية في تشريع أصيام

البحث الثاني: توافق البلاغة القرآنية مع موضوع الصيام

الخاتمة:وفيها أهم ما توصلت إلية من هذا البحث

الفهرس: وهو مشتمل علي فهرس للمراجع وآخر للموضوعيات.

منهج البحث :

استخدمت في هذا البحث المنهج الدراسي التحليل ، حيث قمت بما يلي :

أولا : دراسة البلاغة القرآنية ، وإحالة القارئ إلي بحث سابق للمزيد منه.

ثانيا: دراسة مكانة الصيام فى الإسلام دراسة بينت أن الصيام جدير بالبحث فى تشريعه من خلال البلاغة القرآنية.

ثالثا: تحليل خصائص ودلالات التراكيب في آيات تشريع الصيام ، وكذلك الصور البيانية ، والمحسنات البديعية تحليلاً اثبت أن للبلاغة القرآنية عظيم الأثر في تشريع الصيام.

رابعاً :دراسة الوسائل التأثيرية التى تواجه النفس بما يرضي جوانبها ، والسمات الأسلوبية التى تبين مدى توافق البلاغة القرآنية مع موضوع الصيام .

وقد راعيت ضبط الآيات القرآنية بالشكل ، مع ذكر رقم الآية ، واسم السورة التي وردت فيها ، كما راعيت تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية ونسبت البيت الشعري إلي قائله .

دكتور

حسينى علي عطوة علي

مدرس البلاغة والنقد بجامعة غانا

التمهيد

البلاغة القرآنية:

البلاغة القرآنية هي :الوجوه التي توجد فى القران الكريم ولا توجد فى كلام الناس(١) .

فكان لها الأثر الأكبر فى الجيل الأول ،لماتحدثة في نفوس سامعيها من خضوع تام امام جلالها،فيبسطون الايدى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مبايعين،ويدققون النظر فيها مبينين التشريع الإسلامي.

وقد بسطت القول عن تلك البلاغة القرآنية في بحث سابق تم نشره فى حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق،العدد الثلاثين:"البلاغة القرآنية فى البسملة "وذلك لمن أراد المزيد.

وإذا كان الصيام احد أركان التشريع الإسلامي الذي استلهمه الفقهاء من البلاغة القرآنية ، فانه ينبغي على الباحث إن يتناول مكانة الصيام في الإسلام ،وهذا ما سنراه ـ بمشيئة تعالى في السطور التالية.

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشرى وأثرها في الدراسات البلاغية ، صـ ٣١ ، أ٠د/ محمد أبو موسي ، الطبعة الثانية ، دار التضامن ، ١٩٨٨م.

ـ مكانة الصيام في الإسلام:

الصيام أمر تكليفي من الله تعالى لعباده، ومشروعيته بالكتاب والسنة والإجماع،قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١) وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((بنى الإسلام على خمس شهادة أن اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان))(٢). والإجماع منعقد على وجوب صوم شهر رمضان ، ولهذا يكفر جاحده.

وتتجلى حكمة مشروعية الصيام في أمور كثيرة أهمها:

١ـ مراقبة الله تعالى ، وتحقيق الوحدانية والعبودية له وحده.

٢ـ سكون النفس الأمارة ، وكسر شهوتها من الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين والأذن والفرج

٣ـ صفاء القلب من اكدر حتى ترقى العبودية لله وحده.

٤ـ توكيد الرحمة فى القلب والعطف على المساكين .

٥ـ التوافق الاجتماعي والتعبدي بين الغنى والفقير .

٦ـ الدعوة إلى الوحدة،والاتحاد سبيل القوة،وهو مزية الدعوة المحمدية .

٧ـ الوقاية الروحية والصحية. (٣)

---

(١) سورة البقرة ، الآية :١٨٣

(٢) صحيح مسلم ، ج ١ ، صـ ٣٤ ، دار الجيل ، بيروت

(٣) قبسات من المنهج التربوى في السنة ،ج ٧ ، ص ١٥-١٧، بتصريف ، أ٠د/ فؤاد علي مخيمر ، دار الشاعيرية.

ولما كان الصيام بهذه المكانة،وتلك المنزلة كان جديرا بالبحث في البلاغة القرآنية التي استلهمها الفقراء في بيان تشريعه،وهذا ما سيتناوله الباحث - بمشيئة الله تعالى - في الصفحات التالية .

الفصل الأول

اثر البلاغة القرآنية في تشريع الصيام

لما كان للصيام تلك الأهمية التي رأيناها في التمهيد،كان على البلاغة القرآنية أن توليه عنايتها في تشريعه ،وتوفيه حقه وتفصيلا ،وهذا ما سنراه واضحا ؛ لان طبيعة الموضوع تقتضى ذلك، والمقام يتطلبه.

والحديث عن تلك البلاغة فى تشريع الصيام يشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : اثر البلاغة القرآنية في تشريع تيسير الصيام .

المبحث الثاني : اثر البلاغة القرآنية في تشريع تقريب الصائمين من الله تعالى .

المبحث الثالث : اثر البلاغة القرآنية فى تشريع الصيام عن أكل الأموال بالباطل.

المبحث الأول

اثر البلاغة القرآنية فى تشريع تيسير الصيام

لما كان التكليف أمرا شاقا على النفوس ، والصيام فى ذاته مشقة تضاف إلى مشقة التكليف ،نرى الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول فى سورة البقرة ميسرا على المؤمنين أمر الصيام:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١٨٣) أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (١٨٥)"، ويقول أيضا:" (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (١٨٧)".

ومن خلال هذه الآيات الكريمة يتضح اثر البلاغة القرآنية في تشريع تيسيرات الصيام .

حيث بدأت هذه الآيات الكريمة بالنداء للتنبيه وإيقاظ المشاعر والأحاسيس،وقد أثرت البلاغة القرآنية حرف النداء(يا) الموضوع لنداء البعيد،والله ـ عز وجل ـ اقرب إلى عباده من حبل الوريد ، للإيذان بان الخطاب الذي يتلوه من الأهمية بمكان جدا ، فان نداء القريب قد وضع له (أي) والهمزة ، فإذا استخدم فى ندائه (يا) فقد يكون ذلك للتنبيه على انه قد سها وغفل ، فنزل منزلة البعيد لغفلته ، وقد يكون فطنا غير غافل ، ولكن الأمر الآتي بعد النداء من الأمور المهمة المعنى بها ، فتستخدم (يا) لتنبه إلى ذلك وتلفت إليه ،كما فى الآية الكريمة ـ هنا ـ وقد كثر في القران الكريم النداء على هذه الطريقة ،" لان كل ما نادى الله به عباده من أوامر ونواه ، وعظات وزواجر ، ووعد ووعيد ، وغير ذلك مما انطق به كتابه ، أمـــــور عظام ، ومعان ينبغي أن يتيقظوا لها ،ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها"(١).

وقد جاء النداء مقرونا بأداة التنبيه(ها) لتقوية وإيقاظ المشاعر والأحاسيس

---

(١) الكشاف عن حقائق وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشرى ، ج١ ، صـ ٢٢٤ .

وقد آثرت البلاغة القرآنية التعبير باسم الموصول "الذين آمنوا " بدلا من "المؤمنين " للتفخيم من شأن المؤمنين ورفعة مكانتهم عند الله ، "فالأصل في الأسماء الموصولة أن تكون لتعيين المراد منها بصلاتها ، ولكنها قد تشعر مع هذا بنوع من التفخيم تقصد من أجله " (١) ، كما في هذا المثال .

وانظر إلي البلاغة القرآنية في صياغة فرضية الصيام وما فيه من تيسير ، حيث بنت الفعل "كتب " للمجهول ؛ للعلم بالفاعل ، وهو الله – عز وجل – ونظرا لمشقة التكليف فإن البلاغة القرآنية – هنا – لم تسند الفعل إلي الله – عز وجل – مباشرة ، حتى لا يجتمع علي قلوب المؤمنين مشقة التكليف وشدة الهيبة لذكر اسم الله العظيم ، وذلك تيسير الله – عز وجل – علينا .

والتعبير بـ (الصيام) دون (الصوم) من خصائص البلاغة القرآنية التى هى من كلام الله تعالي دون سواه ، حيث استعملت (الصيام) –هنا – في العبادة ، بينما استعملت(الصوم في الصمت في قوله تعالي "إني نذرت للرحمن صوماً " (٢) ، مع أهما مصدر لفعل واحد هو (صام).

---

(١) البلاغة العالية (علم المعاني) ،صـ٧٣ ،للشيخ عبدالمتعال الصعيدى ، مراجعة د/ عبدالقادر حسين ، مكتبة الآداب ٢٠٠٢م .

(٢) سورة مريم :٢٦ .

علي حين أن البلاغة النبوية تستعمل (الصيام) والصوم) معا في العبادة ، كما في قوله - ﷺ- مبلغا عن رب العزة " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلي سبعمائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقائ ربه . ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك "(١).

وقال رسول الله ﷺ (الصيام نصف الصبر)(٢) . أما البلاغة القرآنية فقد اختصت باستعمال (الصيام في العبادة .

ثم تزيد البلاغة القرآنية فريضة الصيام تيسيرا علي المؤمنين بقول الله تعالي "كما كتب علي الذين من قبلكم " فهي تشير إلي أن الفريضة كتبت علي الأنبياء والأمم من لدن آدم – عليه السلام - ، ولم تفرض علي المسلمين فقط .

والإنسان إذا علم أنه كلف بشئ سبق وتقدم هان الأمر ، بل تشجع ليكون أفضل في الأداء من غيره .

ولما كان الصيام أمرا مفروضا شرعه الله علي المؤمنين والمؤمنات جميعا ، كبارا وصغارا منذ أن يبلغوا الحلم ، وشيبا وشباباً ، وفيهم القوى القادر ، والضعيف العاجز ، فقد خص الله – سبحانه وتعالي – آية الصيام بهذا التعبير تسلية للمؤمنين ، وتخفيفا عليهم رحمة بهم .

---

(١) صحيح مسلم ،جـ ٣ صـ ١٥٨ .

(٢) سنن ابن ماجه ،جـ١ ،صـ٥٥٥ ، تحقيق / محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ،بيروت .

ثم انظر إلي بيان الغاية من الصيام ، وهى إثارة التقوى والإخلاص في القلوب تحريكا للعواطف ،وتقوية للعزائم في قوله تعالى :"لعلكم تتقون" هكذا بأسلوب الرجاء الذي يفيد "الترقب والإشفاق "(١).

فالمؤمن إذا وصل إلى هذه الغاية من الصيام - تحصيل التقوى - يكون قد تحصل على مصدر العون والأمن والسكينة والعزة، فيحيا مستقيما على صراط الله،يستمد منه الثبات والرشاد ، ويرعاه الله في مواطن الخطر ، ويبارك له عطايا الخير ، وهذا من لطف الله تعالي بالمؤمنين، وتيسيره لهم .

وتزيد بلاغة القرآن فريض الصيام يسرا بقوله تعالي " أياماً معدودات " فالتشريع – هنا – يبين أنها ليست فريضة العمر ، ولا تكليف الدهر ، وإنما هي أيام قليلة جداً .

وكلمة "معدودات " أو " معدودة " في القرآن الكريم كله تعنى ما دون الربعين ولا تقال لما زاد عن ذلك (٢).

وعلي هذا فالقلة يمكن التعبير عنها بكلمة "معدودة " ولكن "معدودات " تجعلها أقل وأقل ؛ لأن جمع المؤنث السالم تعبير عن القلة القليلة ، ويدل علي ذلك ما حكم به النابغة الذبياني علي حسان بن ثابت حينما أنشده قصيدة في عكاظ ، جاء فيها :

---

(١) بغية الإيضاح لتخليص المفتاح في علوم البلاغة ،جـ٢ ،صـ٢٨ ، للشيخ عبدالمتعال الصعيدى ن مكتبة الآداب .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي ،جـ٢ ،صـ ٥٨ ، دار إحياء التراث العربي بيروت .

لنا الجفنان الغر يلمعن بالضحى

وأسيافنا يقطرن من نجده دماً

فقال له النابغة : " أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ، ولو قلت : لنا الجفان الغر ... لكان أفضل (١) ؛ لأن الجفنان لأدني العدد ، والكثير "جفان " .

فوصف أيام بأنها معدودات يدل علي أنها تصام تباعا ، وتنقضي سراعا ، ولكنها عطية الله الكريم ، ومنحة الله الرحيم . ويزيد الله – سبحانه وتعالي – المؤمنين إيناسا ولطفا بتخفيف هذه الفريضة علي المريض والمسافر برخصة الإفطار والقضاء في أيام ما عبرت عنه البلاغة القرآنية بقوله تعالي :" فمَن كَانَ مِنكُم مَّريضاً أوْ عَلَى سَفَرٍ فعِدَّةٌ مِّنْ أيَّامٍ أخَرَ" وتكررت هذه العبارة في الآية التالي : مَن كَانَ مَّريضاً أوْ عَلَى سَفَرٍ فعِدَّةٌ مِّنْ أيَّامٍ أخَرَ" بدون ذكر "منكم " وذلك لأن الآية الأخيرة مسبوقة بقولة تعالي :" فمن شهد منكم الشهر فليصمه " ، وذكر "منكم " فيها أغنى عن إعادتها في العبارة التالية لها (٢) .

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء علي الشعراء ، صـ٦ ، المطبعة السلفية ، نقلا عن : البلاغة العالية (علم المعاني)صـ٣٤ .

(٢) أسرار التكرار في القرآن ، للكرماني ، صـ ٤٠،٤١ ، تحقيق / عبدالقادر أحمد عطا ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

وتستثير البلاغة القرآنية نفوس المؤمنين للحرص علي أداء فريضة الصيام بقول الله تعالي :" شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن **... " فهو الشهر الذى أنزل فيه القرآن ، والقرآن نعمه الله الكبرى علي المسلمين ، أخرجهم به من الظلمات إلي النور ، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس ، فوجب شكر الله علي هذه النعمة شكرا يتناسب مع جلالها ، وذلك بصيام هذا الشهر المبارك .**

وقد وصف الله – سبحانه وتعالي – القرآن الكريم بقوله :" هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان **" ، فهو هدى للناس يهديهم إلي صراط الله المستقيم ، وهو آيات بينات واضحات ، تهدى إلي الحق ، وتميز الحق من الباطل .**

ووصف القرآن الكريم بقوله تعالي :" وبينات من الهدى والفرقان **" بعد قوله "هدى للناس " ، يفيد أن القرآن الكريم المصدق لما سبقه من الكتب ، والمهيمن عليها جاء يهدى إلي الحق ، وهو مما هدى الله به ، وختم به كتبه ، فتكون العبارة الثانية أعم من الأولي ؛ لأنها تشمل الهداية ، وصلة القرآن الكريم بالكتب السابقة تصديقاً لها ، وهيمنة عليها(١) .وقيل "الهدى " مكرر تنويها وتعظيما لأمره ، وتاكيدا لمعني الهداية فيه (٢).**

---

(١) ينظر بتصرف : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل ،للزمخشرى ،جـ١ ،صـ ٣٣٦،تحقيق /محمد الصادق قمحاوى .مطبعة مصطفي البابي الحلبي ١٩٧٢م

(٢) روح المعاني ،جـ٢ ،صـ ٦١ .

وقد يفيد معني أخص من الجملة السابقة ، حينما يكون تفسير قوله تعالي "هدى للناس " هو أن القرآن في جملته هدى للناس ، وهو يشمل المحكم والمتشابه ، ثم قوله تعالي :" وبينات من الهدى والفرقان " بمعنى المحكم ، فيكون من عطف الخاص علي العام عناية بهذا الخاص وإشادة به (١) .

وعلي كل حال فهذان التفسيران يثيران الفكرة المفهومة من الآية الكريمة ،وهي استثارة المؤمنين نحو القرآن الكريم الذي به هداية البشر ، فيشيد طلبهم إليه خاصة في شهر الصيام ، فيسهل عليهم صيام هذا الشهر ، وهذا من لطف الله بهم ، وإكرامه إياهم .

ثم انظر إلى التيسير في إعادة ذكر الرخصة للمريض والمسافر في قوله تعالى :"ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر "حتى لا يتوهم إن الصوم حتم لا تتناوله رخصة الإفطار بوجه من الوجه ؛وذلك لتعظيم أمر الصوم وخير يته ، ولكن مع عظم أمر الصوم وخير يته فان قبول رخصة الإفطار أمر مهم يجب العناية به ؛ لأنه محبوب لله تعالى ، حتى انه ـ سبحانه وتعالى ـ أكد الرخصة بإعادة تقريرها .

ثم إن إطلاق الأيام الأخر وعدم تخصيصها يشعر بصحة القضاء متتابعا وغير متتابع تيسيرا للمؤمنين ورحـــــمة بهم ،

---

(١) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية من علم التفسير ، للشوكاني ،جـ١ ،صـ ١٨٢ ،دار المعارف بيروت ،لبنان .

فكلمة"أخر" هنا جاءت نعتا لكلمة " أيام " والغرض منه رفع توهم يؤدى إلى خلاف المقصود ، كان يتخيل السامع أو القارىء أن القضاء في أيام متتابعة ، فيشق عليه ذلك ،لكن القرآنية ـ هنا ـ أزالت هذا التوهم بذلك النعت المشعر بالعموم .

ثم انظر إلى تصريح البلاغة القرآنية بقاعدة عامة في الشريعة الإسلامية ،وهى اليسر في الدين ، فقال تعالى :"يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر "ويؤكد هذه القاعدة حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"إن الدين يسر"(١).

وإذا نظرنا إلى ما في هاتين الجملتين وجدنا من الأسرار البلاغية ما يؤكد هذه القاعدة ،فضلا عن عجز البشر عن المجيء بمثلها،ومن هذه الأسرار ما يلي :

استعمال الفعل المضارع "يريد "مع إن الله أراد ،وذلك لاستحضار إرادة اليسر من الله في الذهن ، وعدم إرادة العسر ، وبذلك تكون قاعدة يسر الدين نصب العينين دائما .

وقارن بين إسناد إرادة اليسر غلى الله هنا وبين عدم إسناد التكليف إلى الله هناك في الفعل "كتب"، تجد نفسك تقول :ما أجمل لطف الله وتيسيره للمؤمنين .

واستخدام الاعتراض بالجار والمجرور "بكم"بين الفاعل والمفعول به يفيد الاختصاص ،أي إن إرادة اليسر من الله خاصة

---

(١) صحيح البخارى ،جـ١ ، صـ ٤٣ ،تحقيق / محمد زهير بن ناصر الناصر ،الطبعة الأولي ،١٤٢٢هـ ، دار طوق النجاة .

بكم انتم أيها المؤمنون ، وليست لغيركم ، وكذلك عدم إرادة العسر ، فعندما يشعر المؤمن انه خصص بهذه المكافأة يتشجع لأداء هذه الفريضة على أكمل وجه .

وقد جاءت الجملتان موصولتين بالواو لوجود الجامع بينهما من ناحيتين : اتحاد هما في الخبرية لفظا ومعنى ، ووجود تضاد بينهما ، حيث أن الأولى تثبت إرادة

اليسر ، والثانية تنفى إرادة العسر . واستعمال الوصل له مكانته البلاغية ، فقد سئل بعض البلغاء عن البلاغة ،فقال:"هى معرفة الفصل"،فقصرها على معرفة ذلك للتنبيه على مزيد غموضه ، وانه فن عظيم الخطر ،دقيق المأخذ ، لا يكمل احد فيه إلا كمل في سائر فنون البلاغة (١) .

وقد اشتملت هاتان الجملتان على طباق السلب ،حيث جمعت البلاغة القرآنية بين فعلى مصدر واحد مثبت في قوله تعالى :"يريد" و"لا يريد" ،واشتملتا ـ أيضا ـ على المقابلة بين إرادة اليسر ،وعدم إرادة العسر . وطباق السلب والمقابلة من المحسنات البديعية المعنوية التي تزيد المعنى روعة وبهاء فى النفس .

كل هذه الألوان البلاغية التي اشتملت عليها هاتان الجملتان تعاونت فى إبراز المعنى وتوضيح المراد ، وهو إظهار تيسير الصيام على المؤمنين حتى يقبلوا على أدائه فى جد واجتهاد .

---

(١) البلاغة العالية (علم المعاني) صـ ١٠٤

وقد ختمت الآية الكريمة بثلاث جمل ، كل جمل منها مسبوقة بالواو ، لتستقل كل جملة بمعناها ، وهى قوله تعالى :"ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون "،فلو جاءت هذه الجمل بدون "الواو"،لكانت كل جملة منها علة لما قبلها مباشرة .

لكن الاستقلالية أدت إلى أن كل جملة جاءت علة لما سبق فى الآية على الترتيب ، فقوله تعالى :"ولتكملوا العدة "تعليل لقوله تعالى :"فمن شهد منكم الشهر فليصمه"،حيث أمر الله المقيم الصحيح أن يصوم شهر رمضان من بداية ظهور هلاله إلى نهايته ، لكي يكمل عدة الشهر ، وينال بركة إتمامه .

وقوله تعالى :"ولتكبروا الله على ما هداكم "تعليل لقوله تعالى :"ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر "،حيث ارشد الله المعذورين الذين يفطرون أياما في شهر رمضان إلى كيفية القضاء ،حتى لا يحرموا بركة الشهر ، ولينالوا ثواب الصيام كاملا .

وقوله تعالى :"ولعلكم تشكرون "تعليل لقوله تعالى :"يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر "،حيث خفف الله برحمته عن المريض والمسافر وجوب الصيام رفعا للحرج ، وتيسيرا لأداء الفريضة ، وهذا يستلزم الشكر على هذه النعمة .

وهذا اللون البلاغي فى هذه الآية نوع من البديع فى البلاغة ،ويعرف باللف والنشر(١)،وقد جاء فى الآية على الترتيب ، الأول للأول ، ثم الذى يليه ، ويأتى هذا التعبير كذلك ثقة فى حسن إدراك السامع ، وقدرته على إرجاع كل جملة إلى ما يناسبها .

وهذا يدل على أن اللغة العربية لغة ذكاء وفطنة ، وحسن تأت لإدراك المعاني اللطيفة ، خاصة إذا كانت لغة بلاغة القران .

ومن تيسير الله ولطفه بالمؤمنين ورحمته بهم قوله تعالى:"احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم " فكلمة "الرفث إلي نسائكم..."

وتشريع التيسير – هنا – جاء من عدة جهات :

أولا : إباحة مباشرة النساء في ليالي رمضان بقوله تعالي :" أحل لكم ليلة الصيام الرفت إلي نسائكم " فكلمة "الرفث"جامعة لكل ما يريد الرجل من إمراته وهى فى هذه الآية كناية عن الجماع .

وقد أثرت البلاغة القرآنية الكناية علي التصريح ؛ لان الغرض منها هو الستر والصيانة ، ولاياتي ذلك فى التصريح بالجماع .

---

(١) هو ذكر متعدد علي وجه التفصيل أو الإجمال ، ثم ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه ،ينظر :الإيضاح في علوم البلاغة ،صـ٢٠٢ ، للخطيب القزوينى ، مطبعة محمد علي صبيح ، ١٩٧١م .وينظر : الكشاف ، جـ١ ،صـ٢٥٢ .

واستعمل لفظ "الرفث "- رغم ما فيه - استهجانا من بعض المؤمنين الذين ارتكبوه قبل أن يبيحه الله لهم .

ونرى بيان العلة من الاباحة فى قوله تعالى :"هن لباس لكم وانتم لباس لهن "،فصعوبة الصبر عن النساء مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن أدى ذلك إلى الترخيص لهم مباشرة النساء .

وهذه العلة جاءت فى صورة بلاغية من أروع الصور فى قرب تناولها(١)، وهى تشبيه مفرد بمفرد ؛"لما كان الرجل والمرآة يعتنقان ، ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه "(٢) .

وانظر إلى هذا التيسير فى قوله تعالى :"علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم " فقوله:"فتاب عليكم " يحتمل أمرين : احدهما - قبول التوبة من خيانتهم لأنفسهم مخالفة لأمر الله . والأخر - التخفيف عنهم بالرخصة والإباحة بعد الحظر ، كما استعمل لفظ "التوبة"فى معنى التخفيف فى قوله تعالى :"علم أن لن تحصوه فتاب عليكم "(٣)،يعنى خفف عنكم ، وفى قوله تعالى :"فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله"(٤)،يعنى :تخفيفا(٥) .

---

(١) البلاغة العالية (علم البيان) ، صـ ٤٥ ، للشيخ / عبدالمتعال الصعيدى ،مكتبة الآداب

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ،صـ١٣٨

(٣) سورة المزمل :٢٠

(٤) سورة النساء :٩٢

(٥) فتح القدير ، للشوكاني ،المجلد الأول ،صـ١٨٦.

وتأكيدا لإباحة مباشرة النساء فى ليالى رمضان يقول الله تعالى :"فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم"، أي : من الآن ـ وقت نزول هذه الآية ـ أحلت المباشرة بعد أن كانت محرمة لطفا بالمؤمنين وتيسيرا لهم .

ثانيا ـ إباحة الطعام والشراب من أذان المغرب إلى أذان الفجر فى ليالى رمضان ، بعد أن كان محرما على المؤمنين إذا ناموا واستيقظوا قبل الفجر ، وذلك فى قوله تعالى :"وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر "، و"حتى" ـ هنا ـ تفيد الغاية ، وتبين أن الفجر غاية للأوامر الأربعة :"فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا "،ثم الحظ التصوير البياني فى قوله تعالى :"حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر "، حيث جاء قوله تعالى :"من الفجر" بيانا للمراد من الخيط الأبيض ، وهو المشبه ، فيكون ضوء الفجر مشبها بالخيط الأبيض ، ويلزم من ذلك أن يكون ظلام الليل مشبها بالخيط الأسود(١) .

وقد أكدت هذه الصورة التشبيهية البليغة المدة الزمنية التى يباح فيها الطعام والشراب ومباشرة النساء خلال ليالى رمضان .

---

(١) صفوة البيان في علم البيان ،صـ١٢ ،أ٠د/ عبدالجواد طبق ، طـ ١٩٨٧ م

ويلحظ من هذا التيسير أخر ،هو صحة صوم الجنب ؛ لان هذا التصوير التشبيهى يفيد جوز المباشرة حتى يتبين الخيط الأبيض الأسود ،أي حتى يظهر النور المستعرض فى الأفق وهو علامة الفجر الصادق مما يتبقى من ظلام الليل ، ومعلوم أن الجناية من لوازم الجماع ، وحينئذ لا يمكن التطهر منها إلا بعد دخول وقت الفجر ، وهو وقت الصيام ، لكن هذا من رحمة الله ولطفه بالمؤمنين .

ثالثا ـ نفى صوم الوصال لما فيه من التعب والمشقة ، وهذا يفهم من قوله تعالى :"ثم أتموا الصيام إلى الليل "، حيث جعلت بلاغة القران الليل غاية للصيام ؛ لان "إلى "تفيد الغاية ، وما بعد"إلى" لا يدخل فيما قبلها إلا إذا كان من جنسه ، والليل ليس من جنس النهار فلا يدخل فيه"(١) .

وعلى هذا لا يجوز الوصال فى الصوم حتى لا يتحقق للمؤمنين أي تعب أو مشقة ، وقد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الوصال فقال :"يفعل ذلك النصارى ولكن صوموا كما أمركم الله عز وجل وأتما الصيام إلى الليل فإذا كان الليل فافطروا"(٢) .

---

(١) من أسرار البيان في أساليب القرآن (آيات الصيام في القرآن)صـ٦١ ،أ.د/ محمد حسن دراس ،الطبعة الأولي ١٩٩٦م ،دار البشير للثقافة والعلوم .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ٥ ،صـ ٢٢٥ ،مؤسسة قرطبة ،القاهرة

رابعا - النهى عن مباشرة النساء حين الاعتكاف فى المساجد ، وهذا هو صريح قوله تعالى :"ولاتباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد "، أو فى أواخر شهر الصيام ، وقد ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انه كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان حتى توفاه الله - عز وجل - ثم اعتكف أزواجه من بعده(١) . وبذلك يكثر ثواب الصائمين فيزدادون قربة من الله رب العالمين .

ثم ختمت الآية بقوله تعالى:"تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون "، فانظر إلى صياغة البلاغة القرآنية لهذا الختام ، حيث عرفت المسند إليه "تلك"بالإشارة تعظيما لحدود الله ، وقد نزل المعقول - هنا - منزلة المحسوس استحضارا لصورته فى الذهن دائما .

ثم نهى عن مجرد الاقتراب من تلك الحدود ،لاعن الأعداء عليها كما فى قوله تعالى فى سورة البقرة - أيضا - فى موضوع أخر:"الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان....تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد الله فأولئك هم الظالمون"(الآية:٢٢٩) .

فما السر فى التعقيب على حدود الله فى أية الصيام بعدم الاقتراب ، وفى أية الطلاق بعدم التعدي؟ .

---

(١) صحيح مسلم ، جـ٣ ،صـ١٧٥ ،دار الجيل بيروت

يقول سيد قطب - رحمه الله - :"فى المناسبة الأولى كان الحديث عن محظورات مشتهاة.....والمحظورات المشتهاة شديدة الجاذبية . فمن الخير أن يكون التحذير من مجرد الاقتراب من حدود الله فيها ، اتقاء لضعف الإرادة إمام جاذبيتها إذا اقترب الإنسان من مجالها ووقع فى نطاق حبائلها !

أما هنا - يقصد آية الطلاق - فالمجال مجال مكروهات واصطدامات وخلافات ، فالحاشية هنا هى الخشية من تعدى الحدود فى دفعة من دفعات الخلاف ، وتجاوزها ، وعدم الوقوف عندها . فجاء التحذير من التعدي لا من المقاربة ، بسبب اختلاف المناسبة..وهى دقة فى التعبير عن المقتضيات المختلفة عجيبة!"(١) .

فعدم القرب من المحظورات المشتهاة خلال أيام الصيام فيه خير وفير لأهل الأيمان .

ويلاحظ هنا - فى آيات تيسير الصيام ان الآية الأولى ختمت بإثارة التقوى والإخلاص فى القلوب ، وكذلك الآية الأخيرة ختمت بهذا الهدف وهو تحصيل التقوى ، فقد بدا الأعمال بالتقوى وختمها بالتقوى ؛ لان التقوى إذا رسخت فى القلوب ، واختلطت بالعروق والدماء ، وخالطت بشاشتها النفوس ، جعلت صاحبها لا يكتفى بالابتعاد عن الحرام أو المكروه ، وإنما يلتزم فى مأكله ، وفى مشربه ،وفى ملبسه ،وفى معاملاته تحرى الحلال الذى لا تحوم حوله شبهة .

---

(١) في ظلال القرءن ، المجلد الأول ،صـ٢٤٩،الطبعة الحادية عشرة ،١٩٨٥م ،دارالشروق

فما أعظم هذا التيسير ، وما أجمل هذا اللطف الذى يدعوا الصائمين إلى القرب من الله تعالى ، وفى الصفحات التالية سنرى - أن شاء الله تعالى - اثر البلاغة القرآنية فى تقريب الصائمين من الله رب العالمين .

المبحث الثاني

اثر البلاغة القرآنية في

تشريع تقريب الصائمين من الله تعالى

لما كان تيسير الصيام بهذا المنهج الذي رأيناه فى المبحث السابق ،كان لزاما على أهل الأيمان إن يتزودوا من هذا المنهج حتى يؤدوا هذا الركن على أكمل وجه ،وحينئذ يطلبون من الله تعالى أن يسددهم ويقويهم على آدة هذه الفريضة ، فهل سيجدون الله تعالى منهم ، سميعا لأقوالهم ،مجيبا لدعائهم ، حتى يزدادوا قربا منه؟! .

فكان قول الله تعالى :"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"(١)ايجابية عن هذا التساؤل ؛ حيث أنها تفيض شفافية ورقة وفضلا من الله البار الرحيم ، وتدل " على انه تعالى خبير بأحوالهم ، سميع لأقوالهم ، مجيب لدعائهم ، ومجازيهم على أعمالهم الصالحة خير الجزاء"(٢) .

ونظرا لمكانة الصيام الرفيعة عند الله تعالى فقد جعله الله تعالى من دواعى إجابة الدعاء حتى يزداد الصائمون قربا من

---

(١) سورة البقرة الآية :١٨٦

(٢) إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم ، جـ١ ،صـ ٢٠٢، لأبي السعود ، دار أحياء التراث العربي ،بيروت

الله تعالى ، فعن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال :سمعت رسول الله - ﷺ- يقول :"إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد"(١) . وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ :" ثلاث لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، الصائم حتي يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها دون الغمام يوم القيامة ،وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول : بعزتي لأنصرك ولو بعد حين (٢) .

ولنبدأ الآن مع معايشة البلاغة القرآنية في آية الدعاء لنرى أثرها في تشريع تقريب الصائمين من الله تعالي :-

فأول ما يلفت النظر في آية الدعاء تلك البلاغة التى قرنت بينها وبين آيات الصيام ،حيث تداخلت آية الدعاء بين آيات الصيام ، حتى إنه ليتجلي أمام القارئ لكتاب الله –تعالي- أن آية الدعاء استكمال لسير الآيات ، حيث قال تعالي "ٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ" وقال تعالي بعدها :" شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ"ثم جاء بآية الدعاء بعدها :"وإذا سألك عبادى عنى ... " وبعد ذلك ذكر الصيام مرة أخرى ، فقال تعالي :" حِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ ..." .

إن المتأمل لهذه الآيات الكريمة يجد أن الصلة بين الصيام والدعاء صلة وثيقة ، حيث يقف السياق القرآني قبل أن يمضى في بيان أحكام تفصيلية خاصة بالصيام ليحدثنا عن الدعاء تأكيدا لهذه الصلة الوثيقة .

---

(١) شعب الإيمان ،للبهيقي،جـ٣ ،صـ٤٠٧ ،تحقيق / محمد السعيد بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية ،بيروت الطبعة الأول ،١٤١٠هـ .

(٢) المرجع نفسه ،جـ٥ ،صـ٤٠٩

فليهنأ الصائم بدعائه المستجاب ؛ لأن الثمرة المرجوة من هذا الإيمان وتلك الطاعة هي القرب من الله تعالي . فكأن نسق البلاغة القرآنية يقول للصائم: أيها الصائم تقرب إلي الله بالدعاء، فهو قريب منك ، حيث جعل وسيلة تقريبك منه هي الدعاء فاغتنمها ولا تهملها .

وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي عدة وجوه ليبين الحكمة من مجئ آية الدعاء بين آيات الصيام ، حيث يقول :"في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه (١) .

الأول : أنه تعالي لما قال بعد إيجاب فرض الصوم وبيان أحكامه :" وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" ، فأمر بعد التكبير الذى هو الذكر بالشكر ، بين أنه – سبحانه بلطفه ورحمته – قريب من العبد مطلع علي ذكره وشكره فيسمع نداءه ويجيب دعاءه ولا يخيب رجاءه .

الثاني :أنه أمر بالتكبير أولاً ثم رغبه في الدعاء ثانياً تنبيهاً علي أن الدعء لابد وأن يكون مسبوقاً بالثناء الجميل ، ألا ترى أن الخليل عليه السلام لما أراد الدعاء قدم عليه الثناء فقال أول :" الذى خلقنى فهو يهدين ... إلي قوله : والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتى يوم الدين " ، كل هذا ثناء منه علي الله تعالي ،

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى ، جـ٥ ، صـ ٨١،٨٢ ،الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

ثم شرع بعده في الدعاء ، فقال :" رب هب لي حكماً وألحقنى بالصالحين " (١)فكذا ههنا أمر بالتكبير أولاً ، ثم شرع بعده في الدعاء ثانياً.

ثالثاً : أن الله تعالي لما فرض عليهم الصيام كما فرض علي الذين من قبلهم وكان ذلك علي أنهم إذا ناموا حرم عليهم ما يحرم علي الصائم ، فشق ذلك علي بعضهم حتى عصوا الله في ذلك التكليف ، ثم ندموا ، وسألوا النبى ﷺ عن توبتهم فأنزل الله تعالي هذه الآية مخبراً لهم بقبول توبتهم ، ونسخ ذلك التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم " .

ولم يكن تقريب هذه الآية للصائمين من الله تعالي يقف عند الحكمة من مجيئها بين آيات الصيام ، بل ثمت سر آخر في بلاغتها ، وفي لطف وقعها ، وهدوء إيقاعها ، فالآية كلها ناطقة – لما فيها من سحر الإعجاز ، وروعة الإيحاء – بتقريب الصائمين من الله تعالي .

ففي إفتتاح الآية أوثر التعبير بـ (إذا) الشرطية دون (إن) لغرض بلاغي هو تحقيق وقوع الجواب لتحقيق وقوع الشرط ؛ لأن "أذا " تأتي في الأمور المحقق وقوعها ، المتيقن بحدوثها بخلاف "إن " ، ولا شك إن مقام الدعاء والترغيب يستلزم تلك الأداة ، ويتطلبها ؛ لأن المراد هو حث المؤمنين علي الدعاء ، وترغيبهم فيه حتى يزدادوا قربا من الله .

---

(١) الشعراء :٧٨-٨٣

وفي توجيه الخطاب إلي النبي - ﷺ- في قوله تعالي :" وإذا سألك عبادى " بعد أن كان موجها إلي المؤمنين في قوله تعالي :" لِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" تشريف لرسول الله -ﷺ- وإعلاء من قدره ، وفي الشأن يقول أبو السعود في تفسيره :" في تلوين الخطاب وتوجيهه إلي رسول الله -ﷺ - ما لا يخفي من تشريفه ورفع محله " (١) .

وانظر إلي كيفية تنبيه البلاغة القرآنية للأذهان وتنشيطها لها حيث ذكرت هذه المسألة العظيمة من خلال أسلوب السؤال والجواب بعد الشرط لتهتم بما سيذكر بعد .

واستعمال مثل هذا الشرط من مادة السؤال لقصد الاهتمام بما سيذكر بعده استعمال معروف عند البلغاء ، قال علقمة (٢).

فإن تسألوني بالنساء فإنني .... خبير بأدواء النساء طبيب

وفي إضافة لفظ "عباد " إلي "ياء " المتكلم العائدة علي ذات الله – عز وجل – دلالة علي " كل معان القرب والرعاية والرحمة والإيناس (٣)؛ حيث إن المؤمنين الذين يسألون عن

---

(١) إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم ،جـ١ ،صـ٢٠٠ ،امحمد ابن العمارى أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢) المعلقات السبع (مقاربة سيمائية / أنتروبولوجية لنصوصها) دراسة ، جـ١ ،صـ٣١٨د/ عبدالملك مرتاض ،منشورات اتحاد الكتاب العربي ،ط ١٩٩٨م.

(٣) من أسرار البيان في أساليب القرآن "أيات الصيام في القرآن " صـ٦٩ ،أ/ محمد حسن دراز ، دار البشير للثقافة والعلوم ،ط١٩٩٦ م.

ربهم هم عبيد له ، ولا غنى للعبد عن خالقه ومولاه ، إذ لا يستقيم أمره ولا يحسن حاله إلا بعون من خلقه ، وتوفيقه له ، ومن هنا ظهرت شدة حاجته له في التضرع إليه ، وهو سبحانه قريب منهم يشملهم برعايته ورحمته وإيناسه لهم ، فشرفهم بإضافتهم إليه حتى يعلو قدرهم ، ويرتفع أمرهم .

وقد استخدمت كلمة "عباد"دون"عبيد"رغم إن مفرد كل منهما واحد وهو كلمة "عبد"؛لان العبيد هم الذين يقهرون في الوجود كغيرهم ، بأشياء ،وهناك من يختارون التمرد على الحق ، لقد اخذوا اختيارهم تمردا ، لكن العباد هم الذين اختاروا الانقياد لله في كل الأمور حتى في منطقة الاختيار المباح(١) ، فكانوا أجدر بقرب الله ورعايته ورحمته وإيناسه .

وانظر إلى بلاغة القران في تقريب الصائمين من الله تعالى ، حيث استعلمت صيغا متباينة للسؤال في مواضع عدة بما يتناسب مع المقام .

فعندما تقرا فى كتاب الله تعالى كلمة "سال"ستجد أن مادة السؤال بالنسبة للبلاغة القرآنية وردت فى جوابها"قل" مثل قوله تعالى :"َسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاس وَالْحَجِّ "(٢)، وقوله تعالى :" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ"(٣) ،وقوله تعالى :" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ"(٤) .

---

(١) تفسير الشعراوى ، المجلد الثاني ،ًت ٧٨٢ ، طبعة أخبار اليوم
(٢) سورة البقرة آية :١٨٩
(٣) سورة البقرة الآية :٢١٧
(٤) سورة البقرة الآية:٢٢٢

وكل "يسألونك"ياتى في جوابها كلمة "قل"إلا أية واحدة جاء فيها "فقل "بالفاء ، هي قول الحق تعالى :"ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا"(١) .

انظر إلى الدقة الأدائية لبلاغة القران ، الأولى "قل "وهذه "فقل" ، فكان يسألونك عن الأهلة" يؤكد إن السؤال قد وقع بالفعل ، ولكن قوله "ويسألونك عن الجبال " فالسؤال هذا سيتعرض له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المستقبل ، فكان الله تعالى أجاب عن أسئلة وقعت بالفعل ، فقال :"قل"، والسؤال الذي سياتى من بعد ذلك جاءت إجابته بـ "فقل" اى أعطاه جوابا مسبقا . إذن ففيه فرق بين جواب عن سؤال حدث ، وبين جواب عن سؤال سوف يحدث ، ليدلك على إن أحدا لن يفاجىء الله بسؤال ،" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ".

لكن نحن ألان إمام أية جاء فيها السؤال وكانت الإجابة مباشرة ،"وإذا سالك عبادي عنى "لم يقل" فقل"ولا" قل أنى قريب "الان قوله:"قل" هو عملية تطيل القرب ، ويريد الله إن يجعل القرب في الجواب عن السؤال بدون وساطة " وإذا سالك عبادي عنى فانى قريب" لقد جعلت البلاغة القرآنية الجواب من الله تعالى لعباده مباشرة ، وان كان الذي سيبلغ الجواب هو رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ارايت ذلك اثر البلاغي كيف قرب الصائمين من الله تعالى؟! .

---

(١) سورة طه الآية :١٠٥

وفـــى هـــذا أشـــان نـــرى صـــاحب"التحريـــر والتنـــوير "يقول:"وإنما قال تعالى "فانى قريب"ولم يقل:"فقل لهم أنى قريب"إيجازا لظهوره من قوله تعالى :"وإذا سالك عبادي عنى "، وتنبيها على إن السؤال مفروض غير واقع منهم بالفعل ، وفيه لطيفة قرآنية ، وهى أيهام إن الله تعالى تولى جوابهم عن سؤالهم بنفسه إذ حذف في اللفظ ما يدل على وساطة النبي - صلى الله عليه وسلم - تنبيها على شدة قرب العبد من ربه في مقام الدعاء"(١) .

ويقول صاحب "روح المعاني":"ولم يصرح بالمقدر كما في أمثاله للإشارة إلى انه تعالى تكفل جوابهم ولم يكلهم إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - تنبيها على كمال لطفه"(٢) .

ومن خلال هذين النصين نفهم عدة إشارات : إشارة إلى شدة القرب بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده ، وإشارة إلى انه سبحانه وتعالى تكفل بسماع دعائهم ، وضمن الإجابة لهم ، ولم يقم الحوائل ولا الوسائط بينه وبينهم ، وإشارة إلى أهمية الدعاء ، وعلو منزلته ، وان العبد يترقى من خلاله ، ويكون قريبا من خالقه ومولاه .

وتأكيدا لهذه المعاني كلها ، وتقريرا لها جاء الخبر مؤكدا بـ"إن" في قوله تعالى :"فانى قريب"؛"لان الخبر غريب ، وهو

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ، للطاهـــــر ابن عاشور ، المجلد الثاني ،صـ١٧٩ ،دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس.

(٢) روح المـــــعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، جـ٢ ،صـ٦٣ ،لمحمد الألوسي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت.

إن يكون تعالى قريبا مع كونهم لا يرونه "(١) ، وحتى لا يشك احد في قرب الصائمين من الله تعالى ، لأنهم اقرب الدعاة استجابة لما هم فيه من اشرف المقامات ، حيث لا توجد واسطة بينهم وبين الله تعالى .

ويؤيد هذا المعنى قول جلال الدين السيوطى:"فان قيل :كيف جاء{وإذا سالك عبادي عنى فاني قريب}وعادة السؤال يجيء جوابه فى القران "بقل"؟ قلنا : حذفت للإشارة إلى إن العبد في حالة الدعاء في اشرف المقامات لا واسطة بينه وبين مولاه"(٢) .

وانظر إلى بلاغة القران في تصوير قربه - سبحانه وتعالى - من عباده ، وبصفة خاصة الصائمين في جملة جواب الشرط "فاني قريب" فهي" تمثيل لحاله في سهولة أجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه"(٣) ، فالله - سبحانه وتعالى - منزه عن قرب المكان ، ولكنه قرب رعاية وعناية ، ومعية خاصة ، يسبغها الله - عز وجل - على الخاصة من خلقه والصفوة المقربين ،ألمعية التي ما فارقت النبي - صلي الله عليه وسلم - وطمأن بها صاحبه في الغار "لا

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ، المجلد الثاني ،صـ ١٧٩.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ،للسيوطى،جـ٣ ،صـ٣٣٨ ،تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،طبعة ١٤٩٤هـ /١٩٧٤م .

(٣) الكشاف ،جـ١ ،صـ٣٣٧ . وينظر :تفسير البيضاوى ،جـ١ ،صـ٥٦٧ ،دار الفكر ،بيروت .

تحزن إن الله معنا "(١) ، والتي ثبت الله بها موسى وهارون عليهما السلام لما خشيا بطش فرعون :"قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى "(٢) ، والتي لجا إليها موسى حين وقع هو وقومه بين البحر وبين فرعون وجنوده :"قال كلا إن معي ربى سيهدين"(٣) .

وهذه الصورة التمثيلية في قوله تعالى :"فاني قريب " جاءت تمهيدا للجملة التي بعدها"أجيب دعوة الداع إذا دعان" فقد قربت من معناها وسهلت من قبولها ، كما إن الجملة الثانية جاءت تقريرا لمعنى القرب ، وتحقيقا له وقطعا بإجابة الدعوة ، وهذا من إيحاء كلمة "أجيب"دون كلمة"اسمع "لان السماع لا يلزم منه الإجابة ،إما قوله:"أجيب"فهو وعد منه ـ سبحانه ـ ووعد الحق ، فقد أمر بالدعاء ، وتكفل بالإجابة حتى يزداد الصائمون منه ـ تعالى ـ قربا .

وقد فصل بين الجملتين ـ هنا ـ فلم تعطف الثانية "أجيب دعوة الداع إذا دعان"على الأولى "فأنى قريب"بالواو ؛ لان بين الجملتين كمال الاتصال ، حيث جاءت الجملة الثانية بيانا للجملة الأولى ، فسهولة إجابة الدعوات وتحقيق الرغبات ثمرة القرب والرعاية وألمعية الشريفة ، وهذا من مواضع الفصل في البلاغة .

---

(١) سورة التوبة الآية :٤٠
(٢) سورة طه الآية :٤٦
(٣) سورة الشعراء :٦٢

والفصل والوصل من أبواب البلاغة القوية ، حتى إن بعضهم جعله حدا للبلاغة ، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني :"وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة ، فقد جاء عن بعضهم انه سئل عنها فقال : معرفة الفصل من الوصل ، ذلك لغموضه ودقة مسلكه ، وانه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه احد إلا كمل لسائر معاني البلاغة"(١) .

وانظر إلى تلك البلاغة التي قيدت كلمة "ألداع"بقوله تعالى:"إذا دعان"، حيث جعلت إجابة الدعاء مشروطة بكون الدعاء موجها إلى تعالى وحده لا إلى ما سواه ، وفي هذا الشأن مزيد من تقريب الصائمين من الله تعالي ؛لأن الدعاء الموجه إلي غير الله فهو من البعد بمكان .

يقول الشيخ الشعراوى – رحمه الله - :"وبعد ذلك يتكلم الحق سبحانه وتعالي في كلمة "الداع " ولا يتركها مطلقة ، فيقول :" إذا دعان " فكأن كلمة "دعا " تأتي ويدعو بها الإنسان ، وربما اتجه بالدعوة إلي غير القادر علي الإجابة ، ومثال قول الحق :" إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ"(٢) وقول الحق :" إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ"(٣)فكأن الداعي قد يأخذ صفة يدعو بها غير مؤهل

---

(١) دلائل الإعجاز ،للإمام عبدالقاهر الجرجاني ،جـ١ ،صـ١٧٤ ،محمد التنجى ،ط١٩٩٥ م ،دار الكتب العربي ،بيروت .
(٢) سورة الأعراف الآية :١٩٤
(٣) تفسير الشعراوى ،المجلد الثاني ،صـ٧٨٤

للإجابة ،والحق – هنا – قال :" أجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذَا دَعَانِ"أما إذا ذهب فدعا غير قادر علي الوفاء فالله ليس مسئولا عن إجابة دعوته (١) ،فاتجاه الصائم إلي الله في الدعاء بيان لمدى القرب بينه وبين الله تعالي .

وتأبي البلاغة القرآنية إلا أن تذيل تلك الآية الكريمة " وإذا سالك عبادي عنى " بتذييل يحث أهل الإيمان عامة والصائمين خاصة علي الاستجابة لله تعالي ، والإيمان به لعل هذا أن يقودهم إلي الرشد والهداية والصلاح ، وهذا التذييل هو قوله تعالي " فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" فالفاء في صدر هذا التذييل "للإفصاح عن شرط مقدر مضمونه : إذا كنت قريبا منهم أجيب دعوتهم إذا دعوني وأقبل عبادتهم – إذا كان دعاؤهم عبادة واستغاثة وثناءا عليه- سبحانه – إذا كنت كذلك بالنسبة لهم فليستجيبوا لي فيما أدعوهم إليه من إقامة للعدل ، ودفع للظلم ، وإصلاح في الأرض ، ومنع للفساد ، وإصلاح ذات بينهم ، ومن إفراده بالعبادة والالتجاء إلي " (٢) .

واللام في قوله "فليستجيبوا لي " للأمر ، فهي تعنى ضرورة الاستجابة للمنهج والامتثال لأمر الله ، ومجئ الأمر بالاستجابة علي صيغة الاستقبال فيه إشارة إلي صعوبته ، ومشقته علي النفس البشرية ، وفيه إشارة – أيضا – إلي حمل

---

(١) تفسير الشعراوى ، المجلد الثاني ،صـ٧٨٤

(٢) زهرة التفاسير ، للإمام / محمد أبي زهرة ،جـ١ ،صـ٥٦٣،دار الفكر العربي

النفس بالقوة علي هذه الاستجابة حتى تصل إلي مبتغاها وتحقق الاستجابة لله ، وكأن البلاغة القرآنية بهذه الصياغة توحي بأن الصائمين قريبون من الله تعالي لا محالة .

وقوله تعالي :"وليؤمنوا بي " من عطف الخاص علي العام ، وهو طريق من طرق الإطناب ، تتجلي بلاغته في هذا المقام أن فيه مزيدا من الاهتمام بالخاص وهو الأيمان ، ولذا أفرد بالأمر ، وخص بالذكر ، وإن كان داخلا في عموم الأمر بالاستجابة لله – عز وجل – والغرض من الأمر بالإيمان هو الحث والتحريض ، وأمرهم بالثبات علي ما هو عليه ، والاستمساك به .

وقوله تعالى :"لعلهم يرشدون"، اى: لعلهم يهتدون إلى بسبب إيمانهم واستجابتهم لى ، وقد أثرت البلاغة القرآنية كلمة"لعل"على كلمة"ليت"؛ لان الرجاء هو طلب شيء محبب إلى النفس مرجو الحصول ، بخلاف التمني الذى يطلب شيئا محببا إلى النفس ، لكنه غير مرجو الحصول (١) . فاختيار كلمة"لعل"يوحى برجاء وصول الصائمين إلى الرشد والهداية والصلاح فيزدادون قربا من الله تعالى .

لا جرم أن هذه الآية الكريمة :"وإذا سألك عبادي عنى ...."كلها ناطقة بتقريب الصائمين من الله تعالى فهى أية عجيبة حقا ، و يسعنى أن اذكر ما قاله سيد قطب ـ رحمه الله ـ

---

(١) ينظر :بغية الايضاح لتلخيص المفقتاح في علوم البلاغة ، للشيخ/ عبدالمتعال الصعيدى ،جـ١،صـ٩١،مكتبة الآداب ،الطبعة السابعة عشر١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م .

تعليقا على هذه الآية الكريمة ، حيث يقول :"آية رقة؟ وأى انعطاف؟ وأية شفافية؟ وأى إيناس؟ وأين تقع مشقة الصوم ومشقة اى تكليف في ظل هذا الود ، وظل هذا القرب ، وظل هذا الإيناس ؟ وفى كل لفظ في التعبير في الآية كلها تلك النداوة الحبيبة : {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} . إضافة العباد إليه ، والرد المباشر عليهم منه .. لم يقل :فقل لهم : أنى قريب .إنما تولى بزاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال .. قريب .. ولم يقل اسمع الدعاء .. إنما عجل بإجابة الدعاء :{ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} .. إنها أية عجيبة .. أية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة ، والود المؤنس ، والرضي المطمئن ، والثقة واليقين .. ويعيش منها المؤمن في جناب رضي ، وقربى ندية ، وملاذ أمين وقرار مكين .

وفى ظل هذا الأنس الحبيب ، وهذا القرب الودود ، وهذه الاستجابة الروحية .. يوجه الله عباده إلى الاستجابة له ، والإيمان به ، لعل هذا يقودهم إلى الرشد والهداية والصلاح .

{ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} . فالثمرة الأخيرة من الاستجابة والإيمان هى لهم كذلك ، وهى الرشد والهدى والصلاح ، فالله غنى عن العالمين .

والرشد الذى ينشئه الإيمان وتنشئه الاستجابة لله هو الرشد ، فالمنهج الإلهي الذى اختاره الله للبشر هو المنهج الوحيد الراشد القاصد ، وما عداه جاهلية وسفه لا يرضاه راشد ، ولا

ينتهى إلى رشاد . واستجابة الله للعباد مرجوة حين يستجيبون له هم ويرشدون . وعليهم أن يدعوه ولا يستعجلوه . فهو يقدر الاستجابة فى وقتها بتقديره الحكيم "(١) .

وبهذا تكون تلك الآية الكريمة قد دعت بكل أساليبها وألفاظها وحروفها ومعانيها إلى تقريب الصائمين من الله تعالى .

وحتى يستمر هذا القرب بين الصائمين وبين الله تعالى أكدت البلاغة القرآنية تشريع الصيام عن أكل أموال الناس بالباطل ، وفى المبحث التالي سنرى - بمشيئة الله تعالى - اثر البلاغة القرآنية فى تشريع الصيام عن أكل الأموال بالباطل .

---

(١) في ظلال القرآن ،المجلد الأول ،صـ١٧٣

المبحث الثالث
اثر البلاغة القرآنية في
تشريع الصيام عن أكل الأموال بالباطل

رأينا في المبحث السابق كيف قربت البلاغة القرآنية الصائمين من الله رب العالمين ، واستمرارا لهذا التقريب نرى البلاغة القرآنية تشرع الصيام عن أكل الأموال بالباطل حتى يظل أهل الإيمان على قرب دائم من الله تعالى .

حيث ختمت آيات الصيام بقوله تعالى :" وَلاَ تَـأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"(١) . وما كان هذا الختام إلا لتحقيق ذلك الهدف ، وهذا ما سيجعل أهل الإيمان ـ خاصة الصائمين ـ فى قرب دائم من الله عز وجل .

وقد روى فى سبب نزول هذه الآية الكريمة أن عبدان الحضرمى ادعي علي امرئ القيس بن عابس الكندى قطعة أرض ، ولم تكن له بينة ، فحكم رسول الله ـ ﷺ ـ بأن يحلف امرؤ القيس ، فهم بالحلف ، فقرأ الرسول ـ ﷺ ـ هذه الآية :" إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "(٢) فارتدع عن اليمين وسلم الأرض لعبدان (٣) .

---

(١) سورة البقرة ،الآية :١٨٨
(٢) سورة آل عمران ،الآية :٧٧
(٣) إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم ،جـ١ صـ٢٠٢ لأبي السعود

وروى – أيضا – أنه اختصم إليه - ﷺ- خصمان فقال :" إنما أنا بشر مثلكم ، تختصمون إلي ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، فأقضى له علي نحو ما أسمع منه ، فمن له بشئ من حق أخيه ، فإنما أقضي له قطعة من نار ، فبكيا ، وقال كل منهما :حقى لصاحبى ، فقال فتوخيا ثم استهما ،ثم ليحلل كل منكما صاحبه " (١).

فهاتان الروايتان تؤكدان ذلك الهدف ،حيث أشارت الأولي منهما إلي أن الذى هم بالحلف – امرؤ القيس – ارتدع عن اليمين ، وسلم الحق لصاحبه ، وفي هذا نجاة له وأخذ بيده ليكون قريباً من الله –تعالي .

وأشارت الأخرى إلي أن الخصمين ارتدع عما هما فيه عندما علما أن الحق الذى سيقضى لهما بناء علي حجتهما إنما هو قطعة من نار ، وقال كل منهما :حقي لصاحبي ، وفي هذا نجاة لهما – أيضا – وأخذ بأيديهما ليكونا قريبين من الله تعالي .

وانظر إلي بلاغة القرآن في وضع هذه الآية الكريمة :"لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ...."بعد آيات الصيام تجد أن مجيئها –هنا- يؤدى الهدف نفسه ؛حيث نرى صاحب تفسير البحر المحيط يقول في مناسبة هذه الآية لما قبلها :"من يعبد الله تعالي بالصيام فحبس نفسه عما تعوده من الأكل والشرب والمباشرة

---

(١) الكشاف ،للزمخشرى ،جـ١ ،صـ٣٤٠

بالنهار ، ثم حبس نفسه بالتقييد في مكان تعبد الله تعالي صائما له ، ممنوعاً من اللذة الكبرى بالليل والنهار جدير أن لا يكون مطعمه ومشربه إلا من الحلال الخالص الذى ينور القلب ، ويزيده بصيرة ، ويفضي به إلي الاجتهاد في العبادة ، فلذلك نهي عن أكل الحرام المفضي به إلي عدم قبول عبادته من صيامه واعتكافه ، وتخلل أيضاً بين آيات الصيام آية إجابة سؤال الداعي ، وسؤال العباد الله تعالي ، وقد جاء في الحديث (إن من كان مطعمه حراماً ،وملبسه حراماً، ومشربه حراماً ،ثم سأل الله أنى يستجاب له) ، فناسب أيضاً النهي عن أكل المال الحرام (١) .

فإذا ابتعد أهل الإيمان – خاصة الصائمين – عن أكل المال الحرام يكونوا في قرب دائم بينهم وبين الله تعالي ؛ لأن عبادتهم مقبولة من الصيام والاعتكاف ،ودعاؤهم مستجاب .

ولم يكن سر تشريع الصيام عن الصيام عن أكل الأموال بالباطل يقف عند سبب نزول هذه الآية ، ومناسبتها لما قبلها بل ثمة سر آخر يتمثل في بلاغتها القرآنية ، فهي كلها ناطقة بتأكيد البعد عن المال الحرام .

ففي افتتاح الآية أوثر العطف بالواو دون غيرها من حروف العطف ؛لأن العطف بها يحتاج إلي لطف في الفهم ،ودقة في الإدراك ؛ حيث عطفت قوله :" لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ"

---

(١) تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، جـ٢ ،صـ٢٥ ،دار الفكر

علي قوله تعالي " تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا" فجملة المعطوف عليه تحزير من الجرأة علي مخالفة الصيام بالإفطار غير المأذون فيه ، وهو ضرب الأكل الحلال ، وجملة المعطوف نهى عن أكل أخر محرم ، وهو أكل المال بالباطل ، والمشاكلة زادت المناسبة قوة ، فكان ذلك أدعى إلي العطف بالواو دون غيرها.

والنهي عن أكل الأموال بالباطل تشريع عظيم للأموال في الإسلام ، ولذلك عطف علي نظائره من التشريعات (تشريع الصيام ، وتشريع تيسيراته ، وتشريع الدعاء ، والتحذير من مخالفة ذلك) ، وإنما نهت البلاغة القرآنية عن أكل المال الحرام ؛ لأنه كان مباحا عند أهل الكتاب ، وشرعا متعارفا عندهم .

يقول برهان الدين البقاعي عن طبيعة المال الحرام (١) عند أهل الكتاب :" قد كان مما خان فيه أهل الكتاب عهد كتابهم واشتروا به ثمناً قليلاً من أمرهم لا سيما تحريم الرشوة فإنهم أخفوه واستباحوها حتى سارت بينهم شرعا متعارفاً وكان طيب المطعم محثوثا عليه لا سيما في الصوم فنهي عن بعض أسباب تحصيل المال أعم من أن تكون رشوة أو غيرها فقال :"ولا تأكلوا " أى يتناول بعضكم مال بعض "(٢).

---

(١) يرى الباحث إتماما للفائدة أن يحيل القارئ لبيان عن المال الحرام ،حتي نبتعد عنه ، ونكون قريبين من الله تعالي ، وهذا البيان للشيخ أبى حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الذيم ،المجلد الثاني ،ـ ١٤٤-١٤٦ ،تحقيق محمد عبدالملك الزغبي ١٩٩٧ م

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،للبقاعي ،جـ١ ،صـ٣٥٨،٣٥٧ ،تحقيق /عبدالرازق غالب المهدى ،دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٩٥ م

وانظر إلي بلاغة القرآن في التعبير عن وجوب الابتعاد عن المال الحرام بقوله تعالي :"ولا تأكلوا " ، تجد أنها عبرت خير تعبير ؛ حيث إن "الأكل حقيقته إدخال الطعام إلي المعدة من الفم ، وهو – هنا - للأخذ بقصد الانتفاع دون إرجاع ، لأن ذلك الأخذ يشبه الأكل من جميع جهاته " (١) .

وإنما ذكر الأكل – هنا – دون سائر وجوه الاعتداء والاستيلاء ؛ لأنه أهم الحوائج ، وبه يقع إتلاف أكثر الأموال (٢) فالمقصد الأعظم من وراء جمع الأموال إنما هو الأكل ؛لذلك أوثر التعبير بالأكل دون سواه .

ووقوع الفعل "تأكلوا " في حيز النهي يدل علي العموم ، فأفاد ذلك نهياً لجميع المسلمين عن كل أكل ، ثم قيد بقوله :"بالباطل " ،أى :بالجهة التى لا تكون مشروعة .

وقد أضافت البلاغة القرآنية (الأموال) إلي ضمير المخاطبين ،فقالت :" وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ "؛ لأن "المال ميال يكون في يد هذا اليوم وفي يد غيره غداً فمن صبر وصل إليه ما كتب له مما في يد غيره بالحق ،ومن استعجل وصل إليه بالباطل فحاز السخط ولم يذل أكثر مما قدر له "(٣) وقيد أكل الأموال بقوله تعالي "بينكم " تقبيحاً لهذه المعصية وتهييجاً علي الأمر بالمعروف (٤).

---

(١) التحرير والتنوير ، المجلد الثاني ،صـ١٨٧
(٢) تفسير البحر المحيط ،جـ٢ ،صـ٢٥
(٣) نظم الدرر في تناسب السور ،جـ١ ،صـ٣٥٨
(٤) المرجع نفسه

وإضافة (الأموال) إلي ضمير المخاطبين –المؤمنين – تؤكد أن للمال وظيفة اجتماعية ، يجب الحفاظ عليها ،فلا تؤكل بالباطل ، ولذلك نرى الإسلام قد منع الاعتداء عليها بالحدود والزواجر ، وحدد وسائل الكسب المشروعة ، وبين وجوه الإنفاق ، وألزم استثارها لإتاحة فرص للعمل ، وفرض عليها الزكاة حتى تسد حاجة المجتمع ، وإذا كانت لسفهاء محجور عليهم أمر أولياءهم أن يحافظوا عليها حتى يبلغوا الرشد ،ويسلموها ، فيزدان مجتمع المسلمين بالمودة والرحمة ، ويسعد المسلمون بالعدل والإحسان ، وبذلك يكونون علي قرب دائم بينهم وبين الله تعالي .

وانظر إلي بلاغة القرآن في عطف قوله تعالي "وتدلوا بها إلي الحكام " علي قوله تعالي :" وَلاَ تَـأْكُلُواْ أَمْـوَالَكُم بَيْـنَكُم بِالْبَاطِلِ" ، تجد تأكيد الصيام عن نوع خاص من أكل المال بالباطل ، وهو الرشوة ، وإنما خصها بالذكر بعد ذكرها في عموم جنسها لشناعتها وكونها جامعة لمحركات كثيرة .

يقول الطاهر ابن عاشور :" وخص هذه الصورة بالنهي بعد ذكر ما يشملها وهو أكل الأموال بالباطل ؛ لأن هذه شديدة الشناعة جامعة لمحركات كثيرة ، وللدلالة علي أن معطى الرشوة آثم مع أنه لم يأكل مالاً بل آكل غيره (١)

---

(١) الحرير والتنوير ، المجلد الثاني ،صـ١٩٠

ويذكر الثعالبي في معنى الجملة المعطوفة قولين : احدهما ، إن معنى الآية : تسارعون في الأموال إلى المخاصمة إذا علمتم إن الحجة تقوم لكم . والأخر ، إن معنى الآية : ترشوا بها على أكل أكثر منها . ثم يرجح القول الثاني ؛ لان الحكام مظنة الرشى إلا من عصم وهو الأقل ، وأيضا فان اللفظين متناسبتان ، تدلوا : من إرسال الدلو ، والرشوة : من الرشاء ، كلنها يمد بها لتقضى الحاجة(١) .

وبناء على هذا الراى الراجح يتضح إن الإدلاء والرشوة متشابهان من وجهين : احدهما ، إن الرشوة رشاء الحاجة ، فكما ان الدلو المملوء منا لماء يصل من البعيد إلى القريب بواسطة الرشاء ، كذلك البعيد يصير قريبا بسبب الرشوة . والأخر ، إن الحاكم بسبب اخذ الرشوة يمضى في ذلك الحكم من غير تثبت كمضي الدلو في الإرسال(٢) .

واختيار كلمة "تدلو" دون غيرها يوحى بمنتهى الدقة في انتقاء اللفظة ونحتها ، مع إن الحاكم الذي تلقى إليه الأموال في الأعلى وليس في الأسفل ، لكن البلاغة القرآنية ـ هنا ـ تصحح

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ،جـ١ ،صـ١٩٠،١٥٠ ،مؤسسة الأعلي للمطبوعات ،بيروت

(٢) مفاتيح الغيب ،للرازى،صـ١٠١ .

الوضع ، فاليد التي تأخذ الرشوة هي اليد السفلى ولو كانت يد الحاكم... ومن ثم جاءت جملة"وبدلو بها إلى الحكام " لتعبر في بلاغة لا مثيل لها عن دناءة المرتشي وسفلة ، فير تعد عن ذلك أهل الأيمان ـ خاصة الصائمين ـ حتى يكونوا في قرب دائم من الله تعالى .

وتبين البلاغة القرآنية العلة من تقديم الرشوة للحكام ، فتقول :"لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم "، اى : بالجور العمد ، وتشير إلى إن هذا الأكل يزداد شناعة عندما يكون الأكل عالما بالحكم ـ وهو عالم لا محالة ـ فتذيل الآية بقوله تعالى :"وانتم تعلمون "،فالجملة "حال مؤكدة لان المدلى بالأموال للحكام ليأكل أموال الناس عالم لا محالة بصنعه ، فالمراد من هذه الحال تشنيع الأمر وتفظيعه ، إعلانا بان أكل المال بهذه الكيفية هو من الذين أكلوا أموال الناس عن علم وعمد فجرمه اشد"(١) .

وبذلك تكون تلك الآية الكريمة قد عبرت خير تعبير عن تأكيد الصيام عن أكل الأموال بالباطل ، بكل ألفاظها وأساليبها ومعانيها ، حتى تضبط حقوق الفرد على الجماعة ووجباته إزاءها ، وحقوق الجماعة تجاه الفرد ووجباتها نحوه ، فتتبادل الحقوق والواجبات بين الفرد المسلم والجماعة المسلمة .

التحرير والتنوير ،المجلد الثاني ،صـ١٩٣

ولـذلك اختتمـت بهـا آيـات الصـيام لتكتمـل فـي نفـوس أهـل الأيمـان وفـى مجتمعـاتهم أثـار الصـيام ، فيصـلوا إلـى عفـة اليـد وطهارتها ، وصدق الألسن ونقائها ، وارتقاء الأرواح إلى أفاق الملا الأعلى .

وبهـذا يتضـح مـدى التلاقـي بـين البلاغـة القرآنيـة وعلـوم الشريعة ، حيث ظهر أثرها الواضح في تشريع الصيام .

اللهم حبب إلينـا الإيمـان وزينـه فـي قلوبنـا وكره إلينـا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين فضلا منك ونعمـه انـك أنت العليم الحكيم .

الفصل الثانى

خصائص البلاغة القرآنية فى تشريع الصيام

من خلال ما سبق بيانه من دراسة لأثر البلاغة القرآنية في تشريع الصيام نستطيع أن نستخلص الخصائص المميزة لأسلوب البلاغة القرآنية فيه .

والحديث عن تلك الخصائص يشتمل علي مبحثين :

المبحث الأول :

وسائل تأثير البلاغة القرآنية في تشريع الصيام

المبحث الثاني :

توافق أسلوب البلاغة القرآنية مع موضوع الصيام

المبحث الأول

وسائل تأثير البلاغة القرآنية في تشريع الصيام

هدف البلاغة القرآنية هو تأسيس فريضة الصيام ،وميدانها الذى تلقي فيه بكل أسلحتها هو نفوس المسلمين ،ولن تصل بالنفس المسلمة إلي الإيمان بما تدعوها إليه إلا إذا تعاملت مع ملكاتها المتعددة ، وجوانبها المختلفة الوجدانية والعقلية والإدارية .

ومن هنا كانت البلاغة القرآنية ذات وسائل تأثيرية لتواجه النفس بما يرضى جوانبها تلك .

وإذا كان القرآن الكريم معجزا من أية ناحية فإن الباحث لا يستطيع أن يحيط بكل ما تتضمنه البلاغة القرآنية من وسائل تأثيرية ، ولكنها مهما كانت قيمتها ، وما ستسفر عنه من نتائج فإنها ستترك الموضوع بكراً ، وبه من الجوانب الكثيرة ما يحتاج إلي معاودة الدرس ، وبذل الجهد لا ستلهام تلك البلاغة القرآنية ومحاولة الكشف عن عجائبها . ووسائل تأثير البلاغة القرآنية في تشريع الصيام تتمثل فيما يلي :

أولا : الأسلوب التصويري :

قيمة الأسلوب التصويرى تظهر بوضوح حينما نعبر عن معني من المعاني بأسلوب تجريدى ، ثم نعرضه مرة أخرى في أسلوب تصويري "فإننا نجد أن المعنى في الطريقة الأولي يخاطب الذهن والوعي ، ويصل إليهما مجردا من ظلاله الجميلة ، وفي الطريقة الثانية يخاطب الحس والوجدان ، ويصل إلي النفس من منافذ شتى ، من الحواس بالتخيل ، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء ، ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذه الكثيرة إلي النفس لا منفذها الوحيد (١) .

وتصوير البلاغة القرآنية – هنا في تشريع الصيام- له ألوانوفنون ، ولكل منها أسراره البلاغية التى تستدعي التعبير فلنشر إلي أهمها فيما يلي :-

١- <u>التصوير بالكلمة المفردة</u> ،حيث إننا نلحظ أن ألفاظ آيات تشريع الصيام كلها مختارة ومقدرة لتحتل مكانها من الجملة بحيث لا يغنى فيه سواها ، ولتنهض بدورها في تأدية المعنى علي أكمل وجه وأتم بيان ، وهذا شأن كل ألفاظ القرآن الكريم .

والبلاغة القرآنية لم تبتكر ألفاظا كانت مجهولة قبلها ، بل "الجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شئون القول يتخير له أشرف المواد ، وأمسها رحما بالمعنى المراد ،

---

(١) التصوير الفنى في القرآن ، صـ١٩٦ ،للمرحوم / سيد قطب ،دار المعارف بمصر ،الطبعة الثانية ١٩٤٩م .

وأجمعها للشوارد ، وأقبلها للاميزاج ، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذى هو أحق بها ،بحيث لا يجد المعني إلا مرآته الناصعة ، وصورته الكاملة ،ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين ، وقراره المكين " (١) .

فالآيات الكريمة التى وردت في تشريع الصيام – كما رأينا في الفصل الأول – تعرض بيانا شافيا لتيسير الصيام ، ووسيلة قرب الصائمين من الله تعالي ، وكيفية استمرار هذا القرب .

ونقف عند الكلمات :" كتب – تتقوت – معدودات – فدية – تطوع – هدى – الفرقان – اليسر – عبادى – قريب – أجيب – فليستجيبوا – أحل – تاب – عفا – باشروهن – كلوا – اشربوا – أتموا – عاكفون – حدودا – لاتأكلوا – الباطل – تدلوا " ، فهي ألفاظ صوررت الحكم الشرعي للصيام ، وهذا التصوير الذى قامت به الكلمات يثير الخيال ، ويجعله يتابع هذا التشريع ، ويستثير في النفس حبها للاستطلاع ، ويستولي علي مشاعر السامع ، فلا يستطيع التحول عن هذه المتابعة حتى يرى الأحكام التفصيلية للصيام ، ومن ثم يستقر في وجدانه الدرس القيم سيق من أجله تشريع الصيام ،وهو مراقبة الله تعالي .

وهكذا يبدو أثر التصوير بالكلمات في تقويه المعاني ،وزيادة تأثيرها في النفوس تحقيقا لما ترمي إليه البلاغة القرآنية من تأسيس فريضة الصيام .

---

(١) النبأ العظيم "نظرات جديدة في القرآن " ،أ٠د/ محمد عبدالله دراز ،صـ١١٥ ،تعليق / عبد الحميد الدخاخنى ،الطبعة الأولي ١٩٩٧م ،دار المرابطين للنشر والتوزيع بالإسكندرية.

٢ـ التصوير بالتشبيه :التصوير بالتشبيه لـه قدر كبير في فن البلاغة ؛لـ"أن تعقيب المعاني به – لا سيما قسم التمثيل منـه – يضـاعف قواهـا فـي تحريـك النفـوس إلـي المقصـود بهـا مدحا كان ، أو ذما ، أو افتخارا ،أو غير ذلك "(١) .

ويرجع جانب كبير من سر تأثير التشبيه إلي إبرازه للمعاني في صور قوية تقررها في النفوس ، فإذا كـان التشبيه قد سبق لتشبيه معنى عقلـي بحسـي فإنـه ينقل النفس ممـا تعلمـه إلـي مـا هي بـه أعلم ، إذ تشترك الحواس عندئذ في إدراكـه ، والنفس آنس لما يأتيها من طريق الحواس ؛لأنـه ينقلها من الخفي إلـي الجلي ، يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني تعليقا علي هذا النـوع من التشبيه:"إنـه قد فتح إلـي مكـان المعقول من قلبك بابـا من العين "(٢).

وانستعرض نموذجا من آيات تشريع الصيام لنقف علي هذه المعاني :

قال تعالي :" هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ " فقد جاء هذا النص الكريم تعقيبا علي ما سبقه من بيان لتيسير من تيسيرات الله للصائمين ، وهو إباحة مباشرة النساء في ليالي رمضان ، حيث قال تعالي :" أحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ ".

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ،صـ ١٢١ .
(٢) أسرار البلاغة ،للإمام / عبدالقاهر الجرجاني ،جـ١ ،صـ٢٤٤ ،تحقيق أ٠د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ، الطبعة الثالثة ،١٩٧٩م .

ثم عقب علي ذلك ببيان العلة من الإباحة ، وهي شدة المخالطة لهن ، ولكن البلاغة القرآنية – هنا – تأبى إلا أن تستخدم وسيلة من وسائل التأثير ، وهي التصوير بالتشبيه ، حيث صورت مخالطة الرجل للمرآة والمرآة للرجل بمخالطة اللباس للابسه ، والصورة التشبيهية – هنا – صورت المعني في صورة حسية ملموسة ؛ لتزيده تقريرا وتمكينا في النفس ، بالإضافة إلي ما يلقيه التصوير في النفس من الثقة والاطمئنان كي تقبل راضية علي الإيمان وقبول رخصه .

٣- التصوير بالاستعارة : الاستعارة وسيلة فنية تجعل القارئ يحس المعني أكمل إحساس وأوفاه "فهي تصور المعني للعين ، وتنقل الصوت إلي الأذن ، وتجعل الأمر المعنوي ملموسا محسا " (١) .

ومن ثم كانت قيمتها في التأثير ، فلا تحسن الاستعارة إذا لم يكن اللفظ المستعار أقوى من اللفظ الحقيقي بإيحائه الملامس للوجدان ، وتصويره للمعني المثير للخيال .

انظر إلي قول الله تعالي في آيات تشريع الصيام " لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ "تجد أن البلاغة القرآنية قد استعارت الأكل الذى هو إدخال الطعام إلي المعدة من الفم ، إلي الأخذ بقصد الانتفاع دون إرجاع ، علي سبيل الاستعارة التصريحية ،

(١) من بلاغة القرآن ،صـ٢١٧ ،د/ أحمد بدوى ،مطبعة نهضة مصر ،الطبعة الثانية .

وإنها لصورة تملأ نفوس المسلمين خوفا عندما يتصورون أن أخذ الأموال بالباطل إنما هو أكل يؤدى إلي النار ، فترتدع نفوسهم عنه ، فيزدادون قربا من الله تعالي ، وتلك هي وظيفة الاستعارة ، حيث مكنت المعنى من النفس وأثرت فيها .

٤- التصوير بالكناية :التصوير بالكناية له دوره في إبراز المعني ، بالإضافة إلي ما فيه من تأكيد له ؛لأنه يتضمن الحكم مصحوبا بدليله ، وذلك أبلغ في تأدية المعنى وتثبيته في النفس .

وإذا شئت فاقرأ قول الله تعالي في آيات تشريع الصيام :" أحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ"تجد السمو اللائق بأدب البلاغة القرآنية ، حيث كنت عما لا ينبغي التصريح به بالرفث .

"وكلمة (الرفث) مصدر : رفث يرفث رفثاً " أى صرح بكلام يتعلق بالجماع ومقدماته ،أو ما يتصل بذلك . وأصل الرفث لا يتعدى لغة بحرف "إلي " لكنه ضمن معنى فعل "افضى " فعدى تعديته ، يقال :أفضى إلي زوجته ، أى : أزال ما بينهما من الفضاء فالتصق بها ، وهو كناية عن الجماع . وتقدير الكلام : أحل لكم ليلة الصيام الرفث بالحديث مع نسائكم مقدمة مناسبة يكون بعدها الإفضاء إليهن وجماعهن ، والله بهذا يعلم الأزواج أدب المعاشرة باستخدام المقدمات قبل الإفضاء والمعاشرة الزوجية " (١).

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ،جـ١ ،صـ٥٠٤ المكتبة الشاملة

أرأيت هذا التأثير الذى أحدثته تلك الكناية ، ولو أن البلاغة القرآنية استخدمت لفظ "الجماع " ما كان فيها هذا التصوير المؤثر .

وقبل أن أختم الحديث عن الأسلوب التصويرى أود أن أشير إلي وسيلة فنية استخدمتها البلاغة القرآنية لتضاعف قدرة التصوير علي التاثير ، وهي وسيلة استحضار الصورة ، حيث آثرت صيغة المضارع "يريد الله بكم اليسر " ،تلك الصيغة التى تجعل المشهد كأنه حاضر مشاهد تراه العين ، وتسمعه الأذن ، وهذا لون بلاغي يقوم علي أسلوب الاستعارة التبعية في الفعل باعتبار زمنه ، فيستعار الفعل المضارع لماضى لإبراز الصورة ، وبذلك تبقي صورة إرادة اليسر من الله في الذهن دائما .

كما أود أن أشير إلي وسيلة أخرى عمدت إليها البلاغة القرآنية في تفصيل وشرح الأحكام المتعلقة بالصيام ، وهذه الوسيلة هى إطالة المشهد ، وإذا شئت فاقرأ الآيات مرة ثانية تجد أنها أثارت انتباه المؤمنين بالنداء ليتجهوا كلية إلي ما سيلقي عليهم ، وهو فرضية الصيام ، وبينت أنه فرض علي الأمم السابقة ليسهل عليهم الأداء ، ووضحت الغاية المرجوة من أداء تلك الفريضة وهي التقوى ، ووصفت أيام الصيام بأنها معدودات ، أى :قليلة ،وذلك تسهيلا علي المؤمنين ، ورخصت لأصحاب الأعذار الرخص التى تسهل عليهم أداء هذه الفريضة ، وبينت وسيلة القرب من الله تعالي وهي الدعـــــاء والتضرع إليه ؛حيث إنه قريب من عباده ،وحتي يظل أهل الإيمان علي

قرب دائم من الله تعالي ، فقد نهت الآيات عن أكل الأموال بالباطل .

كل هذا العرض فيما أرى لتتعرض النفس لركن الصيام زمنا أطول ، وتعيش في جوه مدة أكبر ،ليكون لذلك أثره في استقرار هذه التفاصيل ونمكنها في النفوس ، ومن ثم تأخذ النفس من أقطارها ، وتملأ كل جوانبها ، وتقودها إلي الاستجابة لما تشرعه وتوحي به .

وهذا من البلاغة القرآنية وفنونها ؛ إذ هو إطناب يقتضيه المقام ليحقق غاية ترمى إليها الآيات الكريمة ، وهي تمكن فريضة الصيام في نفوس المسلمين .

ثانيا : الأسلوب التوكيدى :

التوكيد من أهم الوسائل التى تثبت المعني في القلوب ، وتبثه في النفوس حتى تحملها علي التصديق والإيمان به . ونلحظ في أيات تشريع الصيام أن البلاغة القرآنية قد توسعت في استخدام هذا الأسلوب توسعا يجعل له مفهوما أعم من المفهوم الاصطلاحي ، حيث جعلت منه كل أسلوب نلحظ فيه تقوية للمعنى ، وتأكيدا للغرض الذى سيق التعبير من أجله .

فالمقام الذى سيقت الآيات من أجله هو دعوة المسلمين إلي الصيام ، والدعوة إلي العبادات تقتضى أسلوب التوكيد .

علي أن وسائل التوكيد في الآيات تعددت لتشمل ما يأتي :

- حرف التنبيه (هاء) في قوله تعالي "يا لأيها الذين آمنوا..."
- تأكد الخبر بإن في قوله تعالي "فإني قريب "يؤكد قرب الصائمين من الله تعالي.
- اسمية الجملة في قوله تعالي "وأنتم عاكفون في المساجد " تفيد الثبوت والدوام .
- تكرار ذكر الرخصة للمريض والمسافر في قوله عالي " ومن كان مريضا أو علي سفر فعدة من أيام أخر" يثبت المعنى ، ويؤكد الفكرة لدى المسلمين .

وتلك من وسائل التأكيد الاصطلاحية ، ولكنى أرى في الآيات مصادر أخرى للتأكيد تضمنها النظم واقتضاها المقام ، وكلها من ألوان البلاغة التى عبر بها لغرض التأكيد ومنها ما يلي :

- التعبير عمن يتعلق بهم النداء باسم الموصول "الذين آمنوا " ؛ ليفيد أنه شامل لكل من تتحقق فيهم الصفة التى تنص عليها الصلة وهي الإيمان ، فكل من شهد أن لا إله إلا الله وان محمد رسول الله في كل زمان ومكان وجب عليه الإصغاء لهذا النداء وما يتبعه من أحكام ، وهذا يعطى الإيمان بالصيام تأكيدا يوحي للنفوس بالثقة ولاطمئنان إليه ،والعمل بما يوجبه .
- التنظير الذى تبرزه البلاغة القرآنية في قوله تعالي "عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ " وهذا التنظير يؤكد فرضية الصيام لأنه فرض علي الأمم السابقة .
- استخدام الوصف (معدودات – أخر)فيه مزيد ترغيب للمسلمين في التمسك بالصيام ، والثبات عليه .
- التشويق الذى يحدثه تقديم الجار والمجور "بكم " في قوله تعالي "يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ "علي المفعول الصريح، يمهد للمعني في النفس ويثبته ، كذلك في قوله تعالي "لاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" .
- إسناد "عباد " إلي ياء المتكلم العائدة إلي الله تعالي يشير إلي تحقق التكريم.
- ما في البلاغة القرآنية من استعارة الأكل لمعني الخذ في قوله تعالي " لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ"؛إذ التعبير بالأكل آكد وأقوى في الدلالة عن النهي .

- **ويمكننا أن نلمح معني التوكيد - أيضا – في أسلوب التفصيل بعد الإجمال ،حيث أن البلاغة القرآنية عرضت عرضا إجماليا للصيام في الآية الأولي ، ثم بعد ذلك عرضت عرضا تفصليا في الآيات التى تليها .**

وعلي هذا يمكن أن نقول : إن البلاغة القرآنية توسعت في استخدام أسلوب التوكيد لقيمته الكبرى في التأثير .

ثالثا : إيثار الأساليب القادرة علي احتواء المشاعر الوجدانية والتعبير عنها :

البلاغة القرآنية بلاغة دعوة ، والدعوة تشق طريقها إلي القلوب بالتأثير في النفوس ، ولكي تصل البلاغة القرآنية إلي هذه الغاية نراها تضرب في النفس علي أوتار متعددة ، لتصل إلي قرارها ، وموضع التأثير فيها .

والأساليب متفاوتة في قدرتها علي احتواء المشاعر الوجدانية ، تعبيرا عنها وإثارة لها ، فكان طبيعيا أن تؤثر البلاغة القرآنية الأقدر من هذه الأساليب علي هذه المهمة ، وتكثر من استخدامها ، لأنها المناسبة للغرض الموافقة لمقتضى الحال .

وهذا ما لحظناه في آيات الصيام ، حيث إنها تشتمل علي كثير من أساليب الطلب ، مثل "يا أيها – لعلكم تتقون – فليصمه – ولتكملوا – ولتكبروا – ولعلكم تشكرون – فليستجيبوا –

وليؤمنوا – لعلهم يرشدون – باشروهن – ابتغوا – كلوا – اشربوا – اتموا – لا تباشروهن – لا تقربوها – لعلهم يتقون – ولا تأكلوا " .

ونقاد الأدب يقررون أن الجملة الطلبية أدني إلي روح الشعرى الذى يراد به التأثير من الجملة الخبرية (١) .

وإذاتأملنا الأساليب السابقة نجد أنها تشتمل علي نداء وعشرة أوامر ، وإذا وقع الأمر في سياق النداء يزداد قوة ؛ لأن "النداء يوقظ النفس ، ويلفت الذهن ؛ لأنه طلب ودعاء ، فإذا ما جاء الأمر صادف نفسيا مهيأة يقظة منها موقع الإصابة ، حيث تتلقاه بحس واع ، وذهن منتبه ، وهذا دليل علي عناية الأمر بأمره ، ورغبته في إعداد النفوس لتلقيه " (٢).

وقد خرجت ثلاثة أوامر من هذه العشرة إلي معان أخرى مجازية ، ويراد بها الإباحة ، وهي "باشروهن – كلوا – اشربوا "

كما أن هذه الأساليب اشتملت علي ثلاثة نواه ،وإذا كان المنهي عنه قبيحا "كانت النفس عنه انفر ، والداعية إلية أبعد " (٣) . فمباشرة النساء حين الاعتكاف ، والقرب من حدود الله ،

---

(١) أساليب الاستفهام في القرآن ،صـ٤٨٨،أ/ عبدالعليم فودة ،الملس الأعلي للفنون والآداب بمصر .

(٢) دلالات التراكيب دراسة بلاغية ،صـ٢٧٢ ،د/ محمد أبو موسي ،مكتبة وهبة ،الطبعة الأولي ١٩٧٩م .

(٣) المرجع نفسه ،صـ٢٧٥ .

وأكل الأموال بالباطل من الأشياء القبيحة التى تدعو إلي نفرة النفس وانصرافها عنها .

كما أن هذه الآيات اشتملت – أيضا – علي ثلاثة من أساليب الرجاء التى تطلب شيئا محبوبا إلي النفس مرجو الحصول ، والأشياء التى ترجوها الآيات لأهل الإيمان هي التقوى والرشد حتى يعيشوا مستقيمين علي صراط الله .

رابعا : وسائل التشويق والإثارة والتنبيه :

تضمنت آيات تشريع الصيام كثيرا من وسائل التشويق والإثارة والتنبيه ، وكان لها القدرة علي التأثير في النفس ، وتهيئتها لقبول المعني ، لتتطلع إلي معرفه الخبر ، أو تفصيل ما به من إجمال .

ومن هذه الوسائل ما يأتي :

- التفصيل بعد الإجمال؛ لأن الكلام إذا ألقي إلي النفس مجملا استشرفت لمعرفة تفاصيله ، وظلت متطلعة بكل حواسها إلي ما سيلقي عليها .

وهذا ما صنعته البلاغة القرآنية في تلك الآيات ، حيث إنها عرضت حكما إجماليا لفريضة الصيام ، فاستشرفت النفس لمعرفة تفاصيله ،وظلت متطلعة بكل حواسها إلي ما سيلقي عليها ، فاذا بالآليات تعرض الأحكام التفصيلية للصيام ، حتى وصلت إلي أعماق النفس ، فاطمأن إليها الفؤاد .

- **المشاكلة الواقعة بين الحروف في أواخر آيات تشريع الصيام ، وهـــي التى يطلق عليها العلماء "الفواصل القرآنية " ، وإذا شئت فاقرأ هذه الفواصل مرة ثانية :"** لعلكم تتقون – إن كنتم تعلمون – لعلكم تشكرون – لعلهم يرشدون – لعلهم يتقون وأنتم تعلمون **"،تجد أن البلاغة القرآنية قد استخدمت هذه الوسيلة لمد التعبير بميزة صوتية تزيده تأثيرا ، فضلا عن أنها تساعد علي تلاوة الآيات مرتلة مجودة بأنغام آسرة ،ذات إيقاع يتناسب مع الموقف واتجاه المشاعر التى تصاحبه .**

وهذا بدوره يهز المشاعر هزا عميقا ، ويحدث في القارئ أو السامع نشوة وطربا ، ويجدد نشاطه فيكون له الأثر الأكبر في تثبيت المعاني والتأثر بها . وهذا ما تمتاز به البلاغة القرآنية دون سواها من كلام البشر ، فهي في جملتها لحن متوافق متآنف يسترعي من سمعك ما تسترعيه الموسيقي والشعر .

يقول محمد عبدالله دراز متحدثاً عن الخصائص الصوتية للبلاغة القرآنية :"أول ما يلاقيك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره .

دعا القارئ المجود يقرأ القرآن ، يرتله حق ترتيله نازلا بنفسه علي هوى القرآن ، وليس نازلا بالقرآن علي هوى نفسه ، ثم انتبذ منه مكانا قصيا لا تسمع فيه جرس حروفه ، ولكن تسمع حركـــــاتها ، وسكناتها ، ومداتها ،وغناتها

،واتالاتها ، سكتاتها ،ثم ألق سمعك إلي هذه المجموعة الصوتية وقد جردت تجريدا ، وأرسلت ساذجة في الهواء . فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب لا تجده في كلام آخر لو جرد هذا التجريد ، وجود هذا التجويد .

ستجد اتساقا وائتلافا يسترعى من سمعك ما تسترعيه الموسيقي والشعر ، علي أنه ليس بأنغام الموسيقي ولا بأوزان الشعر .

ثم يقول : هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفي علي أحد ممن يسمع القـــــرآن حتى الذين لا يعرفون لغة العرب "(١).

---

(١)النبأ العظيم ،صـ١٢٧ ـ ١٣١

خامساً :إثارة بواعث الطاعة وتزكية دواعي الخير في النفس :

من خلال آيات تشريع الصيام نلحظ أن البلاغة القرآنية تعقد صلة بين الإنسانية وخالقها ، وتعمق فيها المعاني الت متجهة إلي الله في كل لحظة .

فهي تثير فيها دائما الشعور بقدرة الله المطلقة ، وتثير فيها الشعور برقابة الله الدائمة عليها ، وتثير فيها مشاعر تقوى الله وخشيته ومراقبته ، فتوقظ فيها الوازع الدينى الذى يجعلها دائما علي ذكر لربها ، شاكرة لنعمه التيسير ؛مستمدة منه الهدى والرشاد .

ونعاود قراءة الآيات فنرى اللمسة الوجدانية المناسبة للموقف ، والتى تلقي بإيحائها القادر علي استمالة النفوس ، وهي إيثار البلاغة القرآنية لصفة في النداء بقوله تعالي "يا أيها الذين آمنوا.... " ،وذلك لأن النداء بمثل هذه الصفة يكون أكثر استمالة للمخاطبين ، وأعظم ترغيبا في الطاعة .

وفي استثارة شعور مراقبة الله تعالي نقرأ قوله تعالي :" لعلكم تتقون " في ختام الآية الولي . ولنقرأ – ايضا – قوله تعالي معقبا علي بعض أحكام الصيام :" يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " لنرى أن البلاغة القرآنية – هنا – تثير في

نفس المؤمن الثقة في هذه الأحكام ؛لأنها من عند الله الغفور الرحيم ،الذى يريد الخير والهدى لعباده ،فهو يشرع لهم ما فيه الخير ،ويخفف عنهم، وييسر عليهم ، مراعاة لطاقاتهم ؛ لعلمه بما جلبوا عليه من ضعف ، فتشريعه صادر عن رحمة بهم ، وحب الخير لهم ، فحينئذ يقوى المؤمن علي طاعة الله – عز وجل – وأداء فريضة الصيام ، فنقرأ قوله تعالي :" ولعلكم تشكرون " .

وبعد : فهذه هي أهم وسائل تأثير البلاغة القرآنية في تشريع الصيام ، وفي الصفحات التالية سنرى - بمشيئة الله تعالي - مدى توافق البلاغة القرآنية مع موضوع الصيام .

المبحث الثاني

توافق أسلوب البلاغة القرآنية مع موضوع الصيام

إذا كان تشريع الصيام يستدعي استمالة المؤمنين إلي هدف معين ، هو مراقبة الله تعالي ، فيمكننا أن نقول في ثقة كاملة : إن البلاغة القرآنية هي أداة التشريع ، وسلاحه المرهف ،الذى به يحقق أهدافه ، ويذود عن حماه ، ويوسع دائرة نفوذه .

فالصلة بين البلاغة القرآنية وتشريع الصيام صلة وثيقة ، توجبها وظيفة البلاغة في الحياة ؛ إذ وظيفتها "هي السمو بالإنسان وتهذيبه "(١) ،والبلاغة القرآنية - هنا – تريد تغيير واقع لا ترضى عنه ، وهو عدم مراقبة الله تعالي ، ونقطة البداية في كل تغيير هي النفس الإنسانية ، وتغيير النفوس يستوجب التعامل مع جميع ملكاتها ، وجوانبها الفكرية والوجدانية والإدارية ، وعدم تجاهل أي من هذه الجوانب ، إذا كان المراد هو الوصول إلي نتائج حاسمة .

والبلاغة القرآنية هي المؤهلة للقيام بهذا الدور ؛ لأنها تهيمن علي المخاطبين، وتمسك بمقاليد نفوسهم ، وتصل إلي أعماق مشاعرهم ، بملاحظة أحوالهم ، وجعل أسلوبها مطابقا لمقتضاها ، ولديها فيض من الأساليب ، ووفرة في وسائل التأثير تمكنها من تحقيق الهدف .

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا ،صـ٩٧ ،د/ عبدالغنى محمد سعد بركة ،مكتبة وهبة ،الطبعة الأولي ١٩٨٣ م .

ولنأت الآن إلي تطبيق ذلك علي موضوع الصيام :

قلنا : إن البلاغة القرآنية هي الوجوه التى توجد في في القرآن الكريم ،ولا توجد في كلام الناس ، وبما أنها كذلك فلا بد من أن تكون قادرة علي الوفاء بحاجات الإنسان وقضاء مصالحه .

ومن حاجات الإنسان التوازن المطلق بين حاجات الروح وحاجات الجسد ، ولكن المسلم كثيرا ما ينسي ، فيهمل جانب الروح ، ويبالغ في العناية بحاجات الجسد ، فيخيل السلوك ، وتضطرب الموازنة ، ويظلم نفسه . والمصدر الذى يصلح هذا الخلل هو الصيام وما يتبعه من آداب ، فهو يعيد للروح حقها المهضوم .

ومن حاجات الإنسان أنه يبحث عن مصدر العون والسكينة والعزة ، وهذه الأشياء مصدرها هو التقوى ومراقبة الله عز وجل .

كما أن الإنسان في حاجة إلي التوجه إلي الله تعال ليستمد منه الهدى والرشاد .

ومن حاجات المجتمع الإنساني أن يسمو أهله إلي آفاق رحبة من التجمل بالأخلاق السامية ، والتبرؤ من الأخلاق الدنيئة ،ومصدر هذا السمو هو البعد عن العدوان والكسب الحرام .

وهذه المصادر كلها هي التى وفت بها البلاغة القرآنية في أسلوب يرتكز علي أمرين : مراعاة حال المخاطبين وهم أهل الإيمان ، ومراعاة طبيعة موضوع الصيام ذاته .

ويطيب للباحث أن يبين السمات الخاصة لأسلوب البلاغة القرآنية التى تجعله متوافقا مع موضوع الصيام ، قادرا علي الوفاء بحقه ، فأقول وبالله التوفيق :

يمتاز أسلوب البلاغة القرآنية في تشريع الصيام بتوافقه مع حال المخاطبين ؛ لأن تشريع الصيام من العبادات ، والعبادات لا يطالب بأدائها إلا من أسلم قلبه لله ، وانضم إلي جماعة المؤمنين الموحدين ، وعندما يبدأ تكليفه بالعبادة فقط ، ولا حديث للبلاغة القرآنية عن العبادة إلا مع المؤمنين ، فالمخاطبون بعبادة الصيام إذن هم خاص من الناس ، وهم صفوة البشرية الذين آثرهم الله بفضله ، لذلك نرى نداء البلاغة القرآنية في صدر آيات تشريع الصيام موجه إلي أهل الإيمان بقوله تعالي "ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...".

أما فيما يتعلق بطبيعة موضوع الصيام فإنه واجب دينى ، فرض علي المسلم أداؤه تزكية لنفسه ، وإحكاما لصلته بالله – عز وجل - ، وقياما ببعض حقوق المجتمع المسلم علي أفراده.

تلك هي الاعتبارات المؤثرة في أسلوب البلاغة القرآنية في تشريع الصيام ، فلا حاجة للمسلم إلي أسلوب الجدل لإقناعه بأداء الصيام ؛ إذ هو يؤديه باعتباره من مقتضيات العقيدة التى آمن بها .

ولكن الصيام مع ذلك تكليف وواجب ، والنفس تستثقل الواجبات ، كما أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم في العرق ، ولهذا نرى أسلوب البلاغة القرآنية في تشريع الصيام ، وإن خلا من الجدل والإقناع ، فإنه زاخر بألوان التأثير الوجداني المتعددة .

فهو يتوجه إلي النفس وما جبلت عليه من حب الذات فيعرض ألوانا مما يحققه الصيام للمسلم من تحصيل للتقوى ، وإكمال عدة الصيام لمن لديهم عذر ، وتكبير الله علي هدايته المعذورين الذين يفطرون أياما في شهر رمضان إلي كيفية القضاء حتى لا يحرموا بركة الشهر ، ولينالوا ثواب الصيام كاملا ، ومن تحصيل شكر الله عليه تيسيراته لأداء فريضة الصيام .

ويتوجه إلي النفس الإنسانية فيعالج بعدها عن الله بوسيلة القرب منه سبحانه ، وذلك بالتضرع والدعاء .

ويتوجه إلي النفس الإنسانية فيعالج خيانتها بجعل الطعام والشراب ومباشرة النساء حلالا في ليالي رمضان .

ويتوجه إلي النفس عريزة حب المال فيقيدها بالمال الحلال الذى يفيد المجتمع ، ويحرم المال الحرام الذى يؤدى إلي فساد المجتمع .

كل ذلك لوحظ في أسلوب البلاغة القرآنية في تشريع الصيام ؛ لأن طبيعة الموضوع تقتضيه ،وساقه في أساليب

زاخرة بألوان من وسائل التأثير ، وقد رأينا في المبحث السابق ما يؤدى ذلك ويؤكده .

وإذا أردنا أن نشير إلي الملامح البلاغية لأسلوب البلاغة القرآنية في تشريع الصيام ، يمكننا أن نسجل ما يأتي :

- الألفاظ تجمع بين الجزالة والسهولة ،مع عذوبتها وسلامتها من الغرابة ، والتنافر،والتعقيد ، وتمتاز بقدرتها علي الإيحاء والتصوير .
- الصياغة محكمة التركيب ، كل لفظ في موضعه المقدر له ، وتمتاز بالفواصل المحكمة في مواضعها دون تكلف أو استكراه .
- الإبداع في التصوير ، واستخدام وسائل التأكيد بكل ألوانها ، واللمسات الوجدانية .
- الإكثار من استخدام أساليب الطلب لقدرتها علي احتواء المشاعر الوجدانية .

وبعد :فقد أفصح هذا العرض عن مدى توافق البلاغة القرآنية مع موضوع الصيام مما يجعل معالم التلاقي بين البلاغة وعلوم الشريعة واضحة بينة .

الخـاتـــمة

حمدا لله وصلاة وسلاما علي رسول الـه ، وعلـي من والاه وبعد ،،

فيمكننـا بعـد هـذه الرحلـة مـع "اثـر البلاغـة القرآنيـة وخصائصها في تشريع الصياد " أن ندون هذه النتائج :

- البلاغة القرآنية من خصوصيات كلام الله تعالي ، لما لها من دقة متناهية في التعبير يعجز عن مضاهاتها البشر ، وقد عبرت عن مكانة الصيام خير تعبير ، وهي المصدر الأول لعلوم الشريعة .
- أثر البلاغة القرآنية في تشريع الصيام ،حيث نتج عن هذا الأثر بيان لوسائل تيسير الصيام ، وعرض لوسيلة قرب الصائمين من الله تعالي وهي الدعاء والتضرع إليه ، ونهي عن أكل الأموال بالباطل حتى يظل أهل الإيمان علي قرب دائم بينهم وبين الله تعالي .\
- خصائص البلاغة القرآنية في تشريع الصيام تنوعت إلي نوعين :وسائل تأثيرية تواجه النفس بما يرضى جوانبها ، وسمات أسلوبية تبين مدى توافق البلاغة القرآنية مع موضوع الصيام .

وبعد : فهذا جهدي المستطاع ، فإن أحسنت فذلك من فضل الله ، وإن قصرت فالكمال لله وحده ، سائلا المولي - عز وجل – أن لا يحرمني الأجر والثواب إنه سميع مجيب .

المصادر والمراجع

أولا – القرآن الكريم .

ثانيا : المصادر والمراجع الأخرى :

١. إحياء علوم الدين ، للإمام / الغزالي ،تحقيق / محمد عبدالملك الزغبي ،مكتبة فياض ،١٩٩٧ م.

٢. إرشـــــــاد العقـل السـليم إلـي مزايـا الكتـاب الكـريم ، لأبـي السعود ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت .

٣. أساليب الاستفهام في القرآن ،أ/ عبدالعظيم فودة ، المجلس الأعلى للفنون ، والآداب بمصر .

٤. أسرار البلاغة ، للإمام / عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق أ٠د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ، الطبعة الثالثة ،١٩٧٩م .

٥. أسرار التكرار في القرآن ،للكرماني ، تحقيق / عبدالقادر أحمد عطا ،الطبعة الثانية ،١٣٩٦هـ ،دار الاعتصام ،القاهرة

٦. أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا ، د/ عبدالغنى محمد سعد بركة ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولي ١٩٨٣م .

٧. الإتقان في علوم القرآن ،للسيوطى ، تحقيق / محمد أبو الفضل لإبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،طبعة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

٨. الإيضاح في علوم البلاغة ،للخطيب القزوينى ،مطبعة محمد علي صبيح ، ١٩٧١م .

٩. البلاغة العالية (علم البيان) ، للشيخ / عبدالمتعال الصعيدى مكتبة الآداب .

١٠. البلاغة العالية (علم المعاني) ، للشيخ عبدالمتعال الصعيدى ، مراجعة د/ عبدالقادر حسين ، مكتبة الآداب، ٢٠٠٢ م .
١١. البلاغة القرآنية أسسها وعلومها وفنونها ، نقلا عن : المكتبة الشاملة ، الإصدار الثالث .
١٢. التصوير الفنى في القرآن ، للمرحوم / سيد قطب ، دار المعارف بمصر ،الطبعة الثانية ١٩٤٩م.
١٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،لعبدالرحمن بم محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمى لمطبوعات ،بيروت .
١٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشرى ، تحقيق / محمد الصادق قمحاوى ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي ،١٩٧٢م .
١٥. المعلقات السبع (مقاربة سيمائية / أنتروبولوجية لنصوصها) دراسة ، د/ عبدالملك مرتاض ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ،ط١٩٩٨م .
١٦. الموشح في مآخذ العلماء علي الشعراء المطبعة السلفية
١٧. النبأ العظيم "نظرات جديدة في القرآن " ، أ٠د/ محمد عبدالله دراز ،تعليق /عبدالحميد الدخاخنى ،الطبعة الأولي ١٩٩٧م ، دار المرابطين للنشر والتوزيع بالإسكندرية .
١٨. بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، للشيخ / عبدالمتعال الصعيدى ، مكتبة الآداب ، الطبعة السابعة عشر ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

١٩. تفسير البحر المحيط ،لأبي حيان الأندلسي ،دار الفكر.
٢٠. تفسير البيضاوى ، دار الفكر ،بيروت .
٢١. تفسير التحرير والتنوير ، للطاهر ابن عاشور ، دار سحنون للنشر ، تونس .
٢٢. تفيسير الشعراوى ،طبعة أخبار اليوم .
٢٣. دلالات التراكيب دراسة بلاغية ،د/ محمد أبو موسي ، مكتبة وهبة ،الطبعة الأولي ١٩٧٩م .
٢٤. دلائل الإعجاز ، للإمام عبدالقاهر الجرجاني ، محمد التنجى ،ط ١٩٩٥م ،دار الكتاب العربي ،بيروت .
٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمد الألوسي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت .
٢٦. زهرة التفاسير ،للإمام /محمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي .
٢٧. سنن ابن ماجه ، تحقيق / محمد فؤاد عبدالباقي ،دار الفكر ،بيروت .
٢٨. شعب الإيمان ،للبهيقي ، تحقيق / محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،الطبعة الولي ١٤١٠هـ.
٢٩. صحيح البخارى ، تحقيق / محمد زهير بن ناصر الناصر ، الطبعة الولي ،١٤٢هـ ،دار الجيل بيروت .
٣٠. صحيح مسلم ، دار الجيل بيروت .
٣١. صفوة البيان في علم البيان ، أ٠د/ عبدالجواد طبق ط ١٩٨٧م .

٣٢. فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، للشوكاني ،دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
٣٣. في ظلال القرآن ،الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٨٥م ،دار الشروق .
٣٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل ،مؤسسة قرطبة ، القاهرة .
٣٥. مفاتيح الغيب للإمام /فخرالدين الرازى ، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٣٦. من أسرار البيان في أساليب القرآن "آيات الصيام في القرآن " ، أ/ محمد حسن دراز ، دار البشير للثقافة والعلوم ، ط ١٩٩٦م .
٣٧. من بلاغة القرآن ،د/ أحمد بدوى ، مطبعة نهضة مصر ، الطبعة الثانية .
٣٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للبقاعي ، تحقيق / عبدالرازق غالب المهدى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .